مختصر
دعوة أهل البدع

تأليف

خالد بن أحمد الزهراني

قدم لأصل الكتاب معالي الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

قرأه وقدم له فضيلة الشيخ

صالح بن عبد الله الدرويش

القاضي بالمحكمة الكبرى بالقطيف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صورة من تقديم معالي الشيخ
صالح بن فوزان الفوزان

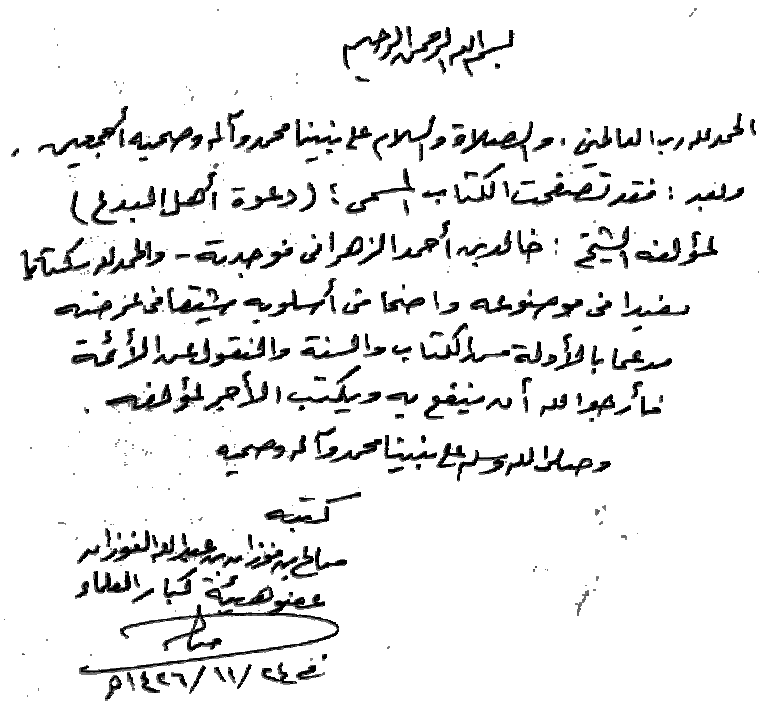

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد: فقد تصفحت الكتاب المسمى: (دعوة أهل البدع)

لمؤلفه الشيخ: خالد بن أحمد الزهراني فوجدته - والحمد لله - كتابا

مفيدا في موضوعه واضحا في أسلوبه محققا لغرضه

مدعما بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأئمة

فأرجو الله أن ينفع به ويكتب الأجر لمؤلفه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

في ١٤٢٦/١١/٥هـ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقديم معالي الشيخ
صالح بن فوزان الفوزان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد: فقد تصفحت الكتاب المسمى: (دعوة أهل البدع) لمؤلفه الشيخ: خالد بن أحمد الزهراني، فوجدته والحمد لله كتابًا مفيدًا في موضوعه، واضحًا في أسلوبه، شيقًا في عرضه، مدعمًا بالأدلة من الكتاب والسنة والنقول عن الأئمة، فأرجو الله أن ينفع به ويكتب الأجر لمؤلفه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقديم فضيلة الشيخ القاضي
صالح بن عبد الله الدرويش

الحمد لله رب العالمين، الآمر خلقه بعبادته أجمعين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، المبعوث رحمة للأولين والآخرين... **أما بعد:**

فإن المتأمل في سيرة النبي ^ ، والناظر في دعوته، وكيفية تبليغه لدين الله تعالى، يجد أنه ^ استفاد من كافة الوسائل الممكنة والمتاحة في عصره، فكتب الكتب والرسائل إلى الملوك والسلاطين، واهتم بالشعر والشعراء، ووجههم لنصرة الدعوة والذب عنها.

وصارع ^ غيره لأجل الدعوة إلى الله تعالى، وهذا من تسخير الرياضة وجعلها وسيلة للدعوة إلى الله تعالى.

وقد خرج صلوات الله وسلامه عليه بنفسه الشريفة لأجل الدعوة إلى الله، فحضر مجامع الكفار واجتماعاتهم ونواديهم، وكان يغشاهم في مجالسهم، ويستغل المواسم التي يجتمعون لها من كل مكان ليباشر دعوتهم.

كما حث النبي ^ أصحابه وسائر أمته من بعدهم على القيام بهذا الواجب العظيم، فقال ^ : (بلغوا عني ولو آية)[1].

---

(1) البخاري (٢/ ١٢٧٥) (٣٢٧٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال لابن عمه الخليفة الراشد علي ﷺ: (لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم)[1]، وتأمل الإطلاق في كلمة "رجل" حيث دخل فيها أي رجل من أي جنس كان.

وقد أنزل الله تعالى على نبيه ^ قوله: * Ä $Y=ï ÑM_ìzëpBÉžöz ÑÇZä [آل عمران:١١٠]، "والمعروف" لفظ عام يشمل كل معروف في الشريعة، وكذلك "المنكر" يشمل الكفر والشرك وما دونها من كبائر الذنوب، وكذا ما دون الكبائر من الصغائر، وكذلك أصغر الصغائر من اللمم.

وهذا العموم يظهر أيضًا في سائر النصوص في الدعوة إلى الله تعالى، كما في قوله: * Ås rêêJ¼ brêÒ¼r Îïø4S'‹î bqãÖƒ pBÉÑäYÏB `ãF¤r [آل عمران:١٠٤]، وفي قوله سبحانه: * 4‹î ãš$# &ìYÏB$Çã bqgZƒr [النحل:١٢٥]، فقد أمر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام بأن يدعو كل من خالف الصراط المستقيم للرجوع إلى الحق والتمسك به والتزامه الصراط المستقيم، والنصوص في هذا كثيرة معلومة.

أيها القارئ الكريم.. لقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم النصوص

---

(1) البخاري(٣/١٠٧٧، ١٣٥٧) (٤/١٥٤٢)(٢٧٨٣)(٣٤٩٨)(٣٩٧٣)، مسلم (٤/١٨٧٢) (٢٤٠٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السابقة على عمومها، متأسين في ذلك بمعلمهم رسول الله ^ ، فانطلقوا ينشرون الإسلام في الشرق والغرب، حتى أسلم عامة أهل الشام والعراق على أيديهم وكذلك فارس (إيران)، وكذا أهل مصر والسودان وشمال إفريقية، حتى أصبحت جميع تلك الديار من قلاع الإسلام وحصونه.

وكان من أهم أسباب هداية تلك الديار حُسن خلق الصحابة رضوان الله عليهم، فقد كان الصحابة ﷺ -مع النصر والغلبة والتمكين والسيطرة على المغلوب- في غاية التواضع والورع والخوف من الله تعالى؛ لم تسيطر عليهم نشوة النصر، وبريق الذهب، وارتفاع القصور، وجمال النساء المترفات المتنعمات.

هذا هو ما فهمه الصحابة من عموم الأدلة في الدعوة إلى الله سبحانه، وهذا ما رأوا رسول الله ^ يفعله ويقوم به، وهو القدوة ^ .

وقد وردت في كتب أهل العلم كثير من الأقوال في التغليظ على المخالف وهجره والتحذير من سوء خاتمته، فينبغي أن تدرس كل الأقوال مجتمعة، ولا بد من الجمع بينها والنظر فيها، وفي أحوال تلك الأقوال وأوقاتها، ولقد اجتهد فضيلة الشيخ/ خالد بن أحمد الزهراني في بحث تلك المسائل والنظر فيها، فأجاد - وفقه الله - وأفاد، فجزاه الله خيرًا ووفقه للبر والرشاد.

- وقبل أن أتركك أيها القارئ الكريم مع الكتاب أود التنبيه على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمور:

أولًا: لا بد من دراسة القرآن الكريم، والنظر في قصص الرسل ‡ في دعوتهم لأقوامهم وأخذ الدروس والعبر منها؛ فهذا كليم الله موسى عليه السلام يتلقى من ربه الأمر الصريح الواضح بلين الخطاب مع من؟ مع فرعون الطاغية، الذي بلغ من جبروته وطغيانه وعدوانه أن قال لقومه: &ÇÈ4?ãF$ãã‘ ⊠* [النازعات:٢٤]، ومع ذلك يقول الله تعالى لنبيه موسى وأخيه هارون عليهما السلام: * Ÿwqà& ¼ç9 ¼ãZ‹ÐÉ$ÑÉ¢Á ¼ãæ©×Ff ¼ã& ´ßt ¼ã& [طه:٤٤].

ثانيًا: لابد للمسلمين عامة والدعاة على وجه الخصوص من الاهتمام بدراسة سيرة الرسول الكريم ^ ؛ فهي مدرسة العلم والدعوة والصبر والجهاد.

فهذا رسول قريش، وهو عتبة بن ربيعة، وكان سيدًا حليمًا، يأتي إلى النبي ^ فيعرض عليه أمورًا مقابل أن يترك النبي ^ الدعوة إلى الله ﷻ، فينصت له رسول الله ^ ، حتى إذا فرغ من كلامه قال النبي ^ : (أفرغت يا أبا الوليد؟).

قال: نعم. قال: (اسمع مني) قال: أفعل.

فقال رسول الله ^ : (* Øm ÇÈ ⊗ƒí\? ÇÈ `Ï $$Ç»#q$$ ÉÏm$$ ÇÈ »Gï) فمضى ([فصلت:١-٣] & ÇÌÈ bqßJ=ßϑ ÖÚöÏ$ $ZÏ•ã $R#äöè ¼çç»ƒ#ä ÑM=Ãè رسول الله ^ يقرؤها، فلما سمع بها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلفه أو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلف ظهره معتمدًا عليهما ليسمع منه، حتى انتهى رسول الله ^ إلى السجدة فسجدها ثم قال: (سمعت يا أبا الوليد؟) قال: سمعت. قال: (فأنت وذاك)[١].

فهذا الرجل جاء لإقناع الرسول ^ بترك الدعوة! وهو مشرك ومع ذلك يستمع له النبي ^ منصتًا لكلامه ولا يقاطعه! حتى إذا فرغ من كلامه قال له ^ : أفرغت يا أبا الوليد؟ ثم يطلب منه الاستماع إليه كما استمع هو، فيتلو عليه آيات من كلام الله تعالى.

فهذا درس في أدب الحوار: أن تستمع من الطرف الآخر، وأن تُسمعه ما عندك بأدب وحُسن قصد، وهو إرادة الهداية له.

وقد جادل النبي ^ أهل الكتاب بالتي هي أحسن ممتثلًا قول ربه تعالى: ﴿ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ﴾ [العنكبوت:٤٦]، واشتد معهم في النقاش إلى درجة المباهلة[٢]. قال الله تعالى: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ﴾ [آل عمران:٦١].

---

(1) البداية والنهاية (٣/ ٦٣ - ٦٤).

(2) المباهلة: المُلاَعَنَة. وهي أَن يجتمع القوم إِذا اختلفوا في شيء فيقولون: لَعْنَةُ الله على الظالم منا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثالثًا: الحذر من الكلام على الله بغير علم، ومن ذلك تحجير رحمة الله تعالى، والقول بأن الله لا يغفر لفلان! أو القول بأن الفئة الفلانية لا تهتدي أو أنهم لا يمكن أن يتوبوا من باطلهم هو من التقول على الله بغير علم، وقد قال تعالى: *rẅ ?àqã) ïJ$?Ã #ß ûÅçÂ 6àÅ$#3É< d»‹# m»=@

ẅr (Gÿdřr #•m»‹# dr ã?’$ #«$#3É< bÎ$%ïû /ÿdřb ã?’$ #«$#3É< ẅ

ãÿÎ$ßqbÈÏÇ& [النحل:١١٦].

رابعًا: يخطئ كثير من الشباب والمبتدئين في طلب العلم بخلط المفاهيم الشرعية، ومن ذلك: عدم تفريقهم بين عقيدة الولاء والبراء وبين حُسن الخلق في التعامل مع الآخر، سواء كان الآخر من الكافرين كفرًا أصليًا أو مرتدًا أو مبتدعًا، وهذه المسألة يطول فيها الكلام، ولكني أختصر لك المسألة في كلمات، مستمدًا العون من الله ﷻ، فأقول:

النبي ^ هو إمامنا وقدوتنا في عقيدة الولاء والبراء، فهو أشد الناس عداوة للكافرين، وأشدهم ^ حبًا للمسلمين، وهو قدوتنا في أخلاقه وتعاملاته وتصرفاته وأقواله وأفعاله على الإطلاق؛ فانظر -رعاك الله- هديه وحلقه في ذلك؛ فإنك لا تجده ^ في تعامله مع الكفار من أهل السباب والشتيمة، ولم تحفظ الدنيا عنه موقف استهزاء أو سخرية من أحد منهم، بل قال ^ لأسماء بنت أبي بكر ﵄ عندما سألته: (قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ^ ، فاستفتيت رسول الله ^ ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصل أمي؟ قال: نعم، صلي أمك)[١].

فهذه قصة من قصص كثيرة مشابهة، وليس هذا من الولاء، فالولاء يعني المحبة والنصرة، فلا يلزم من حسن الخلق والمعاملة الولاء.

والواجب على المسلم أن يتحلى بآداب الإسلام كلها، نعم جاءت نصوص وآثار في المخالفين ولكنها وردت في مواضع ومسائل محددة ينبغي أن تدرس بعناية، وأحيلك أيها القارئ الكريم على كتاب العلامة شهاب الدين القرافي المالكي / [٢] الموسوم بكتاب (الفروق)؛ فإنه من أجل الكتب وأنفعها وأحسنها، فقد عقد فصلًا نفيسًا لبيان " الفرق بين الأمر بعدم ولاية الكفار والأمر ببر أهل الذمة منهم والإحسان إليهم " فقال / : «**عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لهم؛ لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا وذمة الله تعالى وذمة رسوله ^ ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله ^ وذمة دين**

(1) البخاري (٢/ ٩٢٤)(٢٤٧٧)، مسلم (٢/ ٦٩٦)(١٠٠٣).

(2) أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين الصنهاجي، المصري المالكي، المشهور بالقرافي، ولد سنة (٦٢٦) هـ بمصر، وتوفي فيها سنة (٦٨٤)هـ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسلام. وكذلك حكى ابن حزم في مراتب الإجماع له أن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك؛ صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ^ ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة... وإذا كان عقد الذمة بهذه المثابة وتعين علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر، فمتى أدى إلى أحد هذين امتنع وصار من قبل ما نهي عنه في الآية وغيرها، ويتضح ذلك بالمثل: فإخلاء المجالس لهم عند قدومهم علينا، والقيام لهم حينئذ، ونداؤهم بالأسماء العظيمة الموجبة لرفع شأن المنادى بها هذا كله حرام، وكذلك إذا تلاقينا معهم في الطريق وأخلينا لهم واسعها ورحبها والسهل منها، وتركنا أنفسنا في خسيسها وحزنها وضيقها، كما جرت العادة أن يفعل ذلك المرء مع الرئيس والولد مع الوالد والحقير مع الشريف، فإن هذا ممنوع؛ لما فيه من تعظيم شعائر الكفر وتحقير شعائر الله تعالى وشعائر دينه واحتقار أهله...**وأما ما أمر به من برهم ومن غير مودة باطنية، فالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم،**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة واحتمال أذيتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفا منا بهم لا خوفًا وتعظيمًا، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم لجميع حقوقهم، وكل خير يحسن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله، ومن العدو أن يفعله مع عدوه؛ فإن ذلك من مكارم الأخلاق، فجميع ما نفعله معهم من ذلك ينبغي أن يكون من هذا القبيل لا على وجه العزة والجلالة منا، ولا على وجه التعظيم لهم وتحقير أنفسنا بذلك الصنيع لهم، وينبغي لنا أن نستحضر في قلوبنا ما جبلوا عليه من بغضنا وتكذيب نبينا ^ ، وأنهم لو قدروا علينا لاستأصلوا شأفتنا واستولوا على دمائنا وأموالنا، وأنهم من أشد العصاة لربنا ومالكنا **Q**، ثم نعاملهم بعد ذلك بما تقدم ذكره امتثالاً لأمر ربنا **Q** وأمر نبينا ^ لا محبة فيهم ولا تعظيماً لهم، ولا نظهر آثار تلك الأمور التي نستحضرها في قلوبنا من صفاتهم الذميمة؛ لأن عقد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العهد يمنعنا من ذلك فنستحضرها حتى يمنعنا من الود الباطن لهم والمحرم علينا خاصة»[١].

فأوصيك أخي الكريم بالرجوع إليه؛ فهو من أنفس ما كتب في هذا الباب.

وأذكرك أخي بآية جليلة عظيمة عليك أن تنظر فيها وتتأمل في دلالاتها، قال تعالى: ¾ïÎ 7 9 § ø B 'Î š, íâêb& #?ã š, #‰g» _ bÎr*

ôê ¥‹Î > $R&ôB@‹í™ôÎ?s $]rèèB $‹R‰9$ 'Î $JGöm$ ¹ r $JGèÜê Ü

فتأمل في قيام [لقمان:١٥] &bqèJè? ÓÉZä $JÎ Nà6 ãÎ=ã Nàèà_èB ¥‹Î

الوالدين على حمل ولدهما على الكفر، وبذل غاية الجهد لكي يشرك ويكفر بالله، ومع ذلك يأمره الله Q بالإحسان إليهما في قوله: &$]rèèB* &$]rèèB $‹R‰9$ 'Î $JGöm$ ¹ r* وانظر إلى دقائق وأسرار كلمة ودلالاتها!!

خامسًا: يعيش كثير من طلبة العلم والدعاة ساعاتهم الحاضرة لا ينظرون في التاريخ ليأخذوا منه العظة والعبرة، ولا ينظرون كذلك إلى

---

(1) الفروق: (٣/١٥-١٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المستقبل، فهذا رسول الله ^ أثناء حفر الخندق يبشّر أصحابه بكنوز كسرى وقيصر، وهي نظرة مستقبلية؛ ولها أمثالها، والله Q يقول عمن مضى: * 9)﴾ .﴿ šc 'î %Á|Ã ÑĥÎ ãé%ô]]r'í $]FØ6» Ê & [يوسف:١١١] فيقرأ الواحد في التاريخ ويعتبر بمن مضى من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم؛ ومن الإسماعيلية الذين سادوا شمال إفريقية وحكموا العباد والبلاد، وألزموا الناس بمذاهبهم ونحلهم الفاسدة؛ وكان لهم وجود حكومي قوي، بينما كان أثرهم الشعبي ضعيفًا! قتلوا العلماء ونشروا مذهبهم بالقوة، ولكن الله القدير يسّر زوال دولتهم على يد القائد الفذ صلاح الدين الأيوبي، فظهر مذهب أهل السنة والجماعة، وتتابعت قوافل المهتدين على مر العصور والقرون؛ وهكذا كثير من القساوسة النصارى، والحاخامات والكهنة اليهود، والسحرة، وكذا الإسماعيلية والرافضة والصوفية وغيرهم وغيرهم؛ كثير منهم يهتدون ويتوبون ويؤوبون بفضل الله ورحمته، وتنقلب محاربتهم للحق إلى حرص على اتباع هدي النبي ^ ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياك أخي القارئ من الداعين إلى هدي رسول الله ^ .

سادسًا: يستعجل بعض الدعاة قطاف الثمار؛ بينما الهداية من الله ﷻ، فليس علينا إلا بذل الجهد، يقول ﷻ: * ﴿7 ÿ ‰ "ö ß ô&ãÿ7M| r9ø£

$ ‰ö “ B `„±â qèr æ=Å ðB8ÿ ‰Fÿ šú ÈÎÇ & [القصص:٥٦].

فعلى الدعاة تحري سنة النبي ^ وهديه والتمسك بها، والدعوة إليها بالحكمة والكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، والقصد إبراء الذمة، والقيام بالواجب وطلب الأجر من الله الكريم.

ومن هذا القيام بدعوة المخالفين لأهل السنة والجماعة المنحرفين عن سنة النبي ^ ، واعلم أن القيام بدعوتهم فيه القيام برد شبهاتهم وأكاذيبهم، بخلاف الرد المجرد من الدعوة، والقيام بدعوتهم يتضمن دراسة أحوالهم وكذلك كتبهم، ومعرفة نقاط الضعف والقوة عندهم، وكذلك يتطلب الأمر النظر في مخططاتهم ومشاريعهم، وعاداتهم واختلافاتهم.

والخلاصة.. إن القيام بدعوتهم أوسع وأشمل وأعم من مجرد الرد عليهم والتحذير من بدعهم.

فالواجب دعوة المخالفين لأهل السنة والجماعة على اختلاف مذاهبهم ونحلهم وبدعهم لما ذكرنا آنفًا.. وقد أفاد مؤلف الكتاب - وفقه الله وسدده - في بيان هذا وأجاد.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أملاه: صالح بن عبد الله الدرويش

القاضي بالمحكمة الكبرى بالقطيف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المختصر

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وجعلنا من أهل السنة والإيمان، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، والصلاة والسلام على خير الأنام وصحابته الكرام والتابعين لهم بإحسان، وبعد:

فقد طلب مني جمع من طلاب العلم والدعاة اختصار كتابي "دعوة أهل البدع"؛ لتسهل قراءته، وتقل تكلفته، وتعم الفائدة منه.

فاستعنت بالله وشرعت في اختصاره، واعتمدت في ذلك على حذف بعض النقول، التي يقوم غيرها مقامها في الاستدلال، واختصرت بعضها، وأبقيت على مقدمات الكتاب لما فيها من الفائدة؛ وبذلك أصبح المختصر مشتملاً على جميع فصول الكتاب ومباحثه.

وقد بذلت جهدي ما استطعت، ولا يسلم علم البشر من النقص والخلل والتقصير، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنبت.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ..

المؤلف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقـــدمـة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل الضلالة والعمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من تائه ضال قد هدوه[1].

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وآله وصحبه أجمعين:

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تبارك وتعالى هي المهمة التي ابتعث الله من أجلها رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وهي المهمة التي حملها من بعده أصحابه وأتباعه رضوان الله عليهم، فقد حملوا مشعل الهداية والنور، ودعوا إلى دين ربهم تبارك وتعالى كل من ضل عن الصراط المستقيم، لم يفرقوا في هذا بين عربي وعجمي، أو حر وعبد، بين عبدة الأوثان وبين عبدة الصلبان أو النيران، بل شملت هذه الرحمة التي حملوها كل البشر، فقد كانوا أتباع المبعوث رحمة للعالمين، من قال عنه ربه تبارك وتعالى:

---

(1) من مقدمة الإمام أحمد رحمه الله في كتابه: الرد على الزنادقة والجهمية (١/ ٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* »¥ŧ™ö& $Br šz/ ‘ ¢ƒ‰ ¦ü»è‡ ü Ü šú È Ç& [سورة الأنبياء]. ومن قال ﷻ عنه: *$Br »¥ŧ™ö& 7 2 ¢ƒ‰ ¦ü»Ÿ‡ Ä ‹Ë Rr ƒ‰ ¦ü»ƒ‡ 0 Ä ‹Ë Rr ƒ‰ ¦ü»ƒ‡ & [سبأ:٢٨].

وكان ممن توجه إليهم هؤلاء الصحب الكرام ﷺ بالدعوة والإرشاد المخالفون لأهل السنة والجماعة من أهل البدع وغيرهم؛ حرصًا منهم رضوان الله عليهم على هداية الخلق ورحمة بهم، فها هو حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ﷺ يرسله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لدعوة أول فرقة ظهرت في الإسلام- والتي قد حذّر منها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أشد التحذير- فيتجه إليهم ناصحًا شفيقًا، ومعلمًا ربانيًا، فيهتدي ويعود على يديه ألفان، وقيل: أربعة آلاف، وقيل: عشرون ألفًا(١).

ولكن هذه الدعوة -دعوة المخالفين- انحسرت في عصور المسلمين المتأخرة، فلم يقم بها إلا فئام من الناس لا يكاد يسمع عنهم؛ ثم قيض الله ﷻ لهذه الأمة أن تستيقظ من سباتها بدعوة الشيخ المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب / ، والتي سرت في الناس سريان النار في الهشيم، بفضل الله ﷻ، ثم بفضل ما تحمله من الحق الذي يعلى ولا يعلى عليه.

(1) سوف نورد القصة في فصل: وسائل دعوة المخالفين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأقبل الناس على أمور دينهم يتعلمونها، ويعملون بها ويدعون إليها، وكان من أهم وسائل ذلك تأليف الكتب والرسائل في شتى المجالات والفنون.

وكان من ضمن تلك الكتب التي ألفت ما يتكلم عن البدعة وأحكامها، وأحوال أصحابها، ممن تنكبوا طريق السنة والجماعة.

وبالرغم من كثرة ما كتب في موضوع البدعة وما يتعلق بها من الأحكام[1]، إلا أنه لم يؤلف كتاب مستقل في مسألة دعوة المخالفين، فظلت هذه المسألة على أهميتها واعتناء السلف بها متناثرة في كتب الأئمة

(1) استفدت كثيراً من هذه الكتب في بحثي هذا، خاصة كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي / ، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية / في كثير من المواطن في الفتاوى وغيره من الكتب، ومن كلام أئمة الدعوة النجدية عليهم رحمة الله.

ومن الرسائل المعاصرة التي استفدت منها كثيرًا في بحثي هذا: رسالة الماجستير للشيخ الدكتور/سعيد بن ناصر الغامدي: «حقيقة البدعة وأحكامها»؛ والتي هي من أفضل الرسائل في بابها.. وكذلك رسالة الدكتوراه للشيخ الدكتور/إبراهيم بن عامر الرحيلي: «موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع».

وكذلك الكتيب الماتع للأخ محمد بن صالح بن يوسف العلي: «إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم».

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المتقدمين والمتأخرين، لا يجمعها شيء.

ونظرًا لعلاقتي بدعوة بعض الفرق المخالفة لأهل السنة، ولما رأيته من حاجة هؤلاء الناس إلى الدعوة إلى الدين الحق، وحاجتهم إلى الدعاة الصادقين لينتشلوهم من ظلمات الجهل والانحراف، خصوصًا مع ما رأيته من إقبال على الحق لكل من تبين له وكان طالبًا له، وما رأيته وسمعته من بعض الدعاة الذين يثبطون عن الدعوة في هذا الجانب، متمسكين بأعذار واهية ليس عليها برهان من كتاب الله **Q**، أو من سيرة المصطفى ^ وهديه، كل هذا جعلني أستعين بالله سبحانه وأشرع في كتابة هذا البحث، والذي سوف أبين فيه- بإذن الله تعالى- مشروعية دعوة المخالفين لأهل السنة والجماعة، وأحكام هذه الدعوة، والمسائل التي تنبني عليها هذه الأحكام، مستدلًا لها بكتاب الله ﷻ وسنة المصطفى ^ ، وبأقوال وأفعال الصحابة ﷺ ومن تبعهم من الأئمة والعلماء- عليهم رحمة الله- على مر التاريخ، فما كان من صواب فبفضل الله ﷻ، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان.

فهلا شمّرنا عن ساعد الجدّ وقمنا بواجب النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، ودعونا كل من استطعنا إبلاغه دين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله الحق، وتركنا الحجج الواهية والدعاوى الباطلة التي زخرفها بعضهم هربًا من القيام بهذا الواجب العظيم.

وفي الختام: أتقدم بالشكر لكل من ساهم وأعان على إتمام هذا الكتاب بإشارة أو فائدة أو تصويب؛ وأخص فضيلة الشيخ الدكتور/عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، الذي تفضل بقراءة الكتاب وإبداء ملحوظاته وفوائده في كل فصول الكتاب؛ فجزاه الله خير الجزاء .

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه.

وأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يضعه في موازين حسناتي، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه /خالد بن أحمد الزهراني
في شوال من عام ١٤٢٣هـ
kzahrany@hotmail.com
٠٥٠٥٨٤٨٩٨٨

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الأول
فضل الدعوة إلى الله تعالى

- **قال رسول الله** ^ : «لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم».
- **قال ابن القيم** / : «مقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد».

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فضل الدعوة إلى الله تعالى

الدعوة إلى الله تبارك وتعالى هي أعظم مهمات رسولنا ﷺ، وهي وسيلة وسبيل لتحقيق توحيد الله تعالى، قال سبحانه: *þíŠî™ ¾íÉ»d @è* `Ï ŒÂ $Br «ŧ$ `»sõŠr ÓÍè6?$ ÇBr ŒÂ ž•Ã/ 4?ã «ŧ$ '‹î ‰þãš& &ÇïÈ šú üÏÎô ŒÂ [يوسف:١٠٨].

وقال سبحانه: *$Šã#Šr ÇÍÈ #ƒÉRr #ŽÅ6ãr #%ĝ»© 7 »Ÿ™ö $Rî óÉŽ9$$KŠ»ƒ* &ÇÍÈ #ŽŸB ¾[#ŽÅr ¾ïïõîî «ŧ$'‹î [سورة الأحزاب].

وهي الميزة التي فضّل الله تعالى بها هذه الأمة على سائر الأمم؛ فقال تعالى: Çã šc ögŸ?r Å$rææJ brêŒ? Ä $Y÷ï ÑM_ì-zé þBé žöz ÑÇŽä* &«ŧ$ bqŽBs÷r ì 6 ZŒ [آل عمران:١١٠]، وقال تبارك وتعالى آمرًا بها وحاثًا عباده على القيام بها: *brææÚr Îöø$ '‹î bqãß ƒ þBé ÑaŸB `aF÷r* &ì3YŒÇã bögŽƒr Å$rææ$î [آل عمران:١٠٤].

لذا كان الداعية إلى الله تعالى العامل بما يدعو إليه من أحسن الناس قولًا، قال تعالى: *A$%r $[s÷ ¹ Ø@Üãr «ŧ$'‹î !æŠ `ÐÏ ŽvöŸ ß¡ô& ôBr* &ÇÌÈ ûüÜîó ŒÂ `Ï ÓÍ[Rî [فصلت:٣٣].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بل إن الداعية له أجره من الله الكريم، وله كذلك أجر من دعاهم إلى الله تعالى، قال ^ : **(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئًا)**[١].

والله سبحانه يحفظ أهل القرى من عذابه عامة بسبب وجود الدعاة المصلحين فيها، الذين يدعون إلى سبيل الله، قال تعالى: *$Br bŸ2 ‘ ƒ• [سورة هود].

والدعوة بحمد الله ونعمته غير محصورة بوقت ولا مكان ولا طريقة ما دام أنها وفق الشريعة، وغير مخالفة لطريقة النبي ^ في الدعوة إلى الله.

فمن جهة الوقت: هذا نوح عليه الصلاة والسلام يدعو قومه في الليل والنهار: *‘ A$% [سورة نوح].

ومن جهة المكان: هذا يوسف عليه السلام يدعو في السجن: *f [سورة يوسف].

ومن جهة الطريقة: هذا نوح أيضًا يدعو إلى الله ودينه بطرق متنوعة: [سورة نوح].

---

(١) مسلم (٤/٢٠٦٠)، (٢٦٧٤)، الترمذي (٥/٤٣) (٢٦٧٤)، أبو داود (٢/٦١٢) (٤٦٠٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي / : «لا يتم التوحيد حتى يكمل العبد جميع مراتبه، ثم يسعى في تكميل غيره، وهذا هو طريق جميع الأنبياء، فإنهم أول ما يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهي طريقة سيدهم وإمامهم ^ ؛ لأنه قام بهذه الدعوة أعظم قيام، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، لم يفتر، ولم يضعف، حتى أقام الله به الدين، وهدى به الخلق العظيم، ووصل دينه ببركة دعوته إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكان يدعو بنفسه، ويأمر رسله وأتباعه أن يدعوا إلى الله وإلى توحيده قبل كل شيء؛ لأن جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها على التوحيد.

فكما أن على العبد أن يقوم بتوحيد الله، فعليه أن يدعو العباد إلى الله بالتي هي أحسن، وكل من اهتدى على يديه فله مثل أجورهم، من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

وإذا كانت الدعوة إلى اللهإلى شهادة أن لا إله إلا الله فرضًا على كل أحد، كان الواجب على كل أحد بحسب مقدوره.

فعلى العالم من بيان ذلك والدعوة والإرشاد والهداية أعظم مما على غيره ممن ليس بعالم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى القادر ببدنه ويده، أو ماله، أو جاهه وقوله، أعظم مما على من ليست له تلك القدرة.

قال تعالى: * LêèüFÕ'$$B ©$f{qà?$ & [التغابن:١٦]، ورحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة، وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين»[1].

الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد:

قال ابن القيم / في كتابه مفتاح دار السعادة:

«الوجه الثلاثون بعد المائة: وهو قوله تعالى: * `ÆÌ Zvq% ß¡ô& ôBr `Ì ÓÍÑî A$%r $[sî¹ @ÜãrÆ$'<î Ìæš &ÇÌÈ ûüÙîqÓ`Ì [فصلت:٣٣] قال الحسن: (هو المؤمن أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، فهذا حبيب الله، هذا ولي الله)، **فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد،** قال تعالى: * Æ$Ñ%ãã P$% $Ñ¼qÑr Æ$Ñ%ãã 4<î ãš$$* [سورة الجن]، وقال تعالى: * &ÇÌÈ #%7Ì ïøã bqÇqãƒ {rš. qãÑƒ & ß¡ô& 'Ì ÓÉ$Ñ Oq%»_r þZ¡tø$ þàãqJÑ þJÕtø$ 7î' è<î™ [النحل:١٢٥].

---

(1) القول السديد (ص:٣٢-٣٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جعل سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة، والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن، هذا هو الصحيح في معنى هذه الآية... إلخ»[(١)].

الدعوة إلى الله أعظم المراتب وأجلها عند الله:

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب / : «...ويكون عندك معلومًا أن أعظم المراتب وأجلها عند الله الدعوة إليه، التي قال الله: * ß¡ôn& ôBr & ÇÌÈ ûüÙîóGøS `B ÓÍ_Ñ) A$%r $[sî» ¹ @ÝÙãr «‹$ '‹) !æŠ `ÐB Zwö% [فصلت:٣٣]، وفي الحديث: **(والله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم)**[(٢)]»[(٣)].

والدعوة إلى الله جهاد، وأكمل الخلق تكميلًا لمراتب الجهاد بفضل الله هو قدوتنا ^ ، يقول العلامة ابن القيم / في كتابه زاد المعاد في هدي

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٣).

(٢) البخاري (٣/ ١٠٧٧، ١٣٥٧)(٤/ ١٥٤٢) (٢٧٨٣) (٣٤٩٨) (٣٩٧٣)، مسلم (٤/ ١٨٧٢) (٢٤٠٦).

(٣) الدرر السنية من الأجوبة النجدية (١/ ٦٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خير العباد: «وأكمل الخلق عند الله من كمل مراتب الجهاد كلها، والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في مراتب الجهاد، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتم أنبيائه ورسله؛ فإنه كمل مراتب الجهاد، وجاهد في الله حق جهاده، وشرع في الجهاد من حين بعث إلى أن توفاه الله Q؛ **فإنه لما نزل عليه:** *ÇÌÈ ÆÉ3ù 7/'r ÇÌÈ öÉR'ù Ò¢ ÇÌÈ ÐÉ‰3Ø$KS»ƒ [سورة المدثر]، **شمّر عن ساق الدعوة، وقام في ذات الله أتم قيام، ودعا إلى الله ليلًا ونهارًا، وسرًا وجهارًا، ولما نزل عليه:** *ÇÍÈ ÐÜù 7/$‹Ïr [الحجر:٩٤]، **فصدع بأمر الله لا تأخذه فيه لومة لائم، فدعا إلى الله الصغير والكبير، والحر والعبد، والذكر والأنثى، والأحمر والأسود، والجن والإنس**»[1].

وقال أيضًا هذا الإمام الرباني / :

«**الدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم، والناس تبع لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس، وهكذا المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له،**

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ١١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد أمر النبي ^ بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثًا، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه»[1].

والدعوة إلى السنة أمر بالمعروف، وإنكار البدعة نهي عن المنكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام أمان الشريعة، وبهما يحفظ الدين، وتستقيم العقائد والعبادات.

قال شيخ الإسلام وشامة الشام ابن تيمية / :

«...ومن الأمر بالمعروف كذلك الأمر بالائتلاف والاجتماع، والنهي عن الاختلاف والفرقة وغير ذلك، وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله فأعظمه الشرك بالله، وهو أن يدعو مع الله إلهًا آخر كالشمس والقمر والكواكب، أو كملك من الملائكة، أو نبي من الأنبياء، أو رجل من الصالحين، أو أحد من الجن، أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم، أو غير ذلك مما يدعى من دون الله تعالى أو يستغاث به أو يسجد له، فكل هذا وأشباهه من الشرك الذي حرمه الله على لسان جميع رسله.

---

(١) جلاء الأفهام (ص:٤١٤-٤١٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن المنكر كل ما حرمه الله، كقتل النفس بغير الحق، وأكل أموال الناس بالباطل بالغصب أو بالربا أو الميسر، والبيوع والمعاملات التي نهى عنها رسول الله ^ ، وكذلك قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وتطفيف المكيال والميزان، والإثم والبغي، وكذلك العبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله ^ .. وغير ذلك، والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١].

ويؤكد العلامة ابن القيم / أن من أسباب فشو البدعة تقصير أهل الحق في إظهار السنة والهدى، فقال: «...ما وقع في هذه الأمة من البدع والضلال كان من أسبابه: التقصير في إظهار السنة والهدى»[٢].

وهكذا بدعوة المخالفين لأهل السنة تظهر السنة وتموت البدعة، ويوقى العامة شرها، ويظهر ضعف حجة المخالف، ويذب عن حياض الدين، وينكشف ما يلبسه المخالفون على العامة، وبهذا يجتمع الناس على الهدى والاعتصام بحبل الله.. وهو المقصد الشرعي العظيم من دعوة المخالفين لأهل السنة والجماعة من أهل البدع.

---

(١) الاستقامة (٢/ ٢١٠).

(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ١١٣٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني
تعريف البدعة وخطرها وذم أهلها

- اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.
- اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة.
- إن البدعة لا يقبل معها عبادة؛ من صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا غيرها من القربات.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعريف البدعة وخطرها وذم أهلها

تعريف البدعة لغة:

قال ابن فارس: «بدع: الباء والدال والعين أصلان: أحدهما: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر: الانقطاع والكلال، فالأول: قولهم: أبدعت الشيء قولًا أو فعلًا، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال، والله بديع السموات والأرض، والعرب تقول: ابتدع فلان الركي إذا استنبطه، وفلان بدع في هذا الأمر، قال الله تعالى: *@Bَ $ZMَ ?ٱ ?ٱ ?ٱ `$ •ٱ?ٱ3ٱ@ٱ& [الأحقاف:٩]، أي: ما كنت أول»[(١)].

وهذا المعنى الثاني الذي ذكره ابن فارس راجع إلى المعنى الأول، كما أشار إلى ذلك ابن الأثير حيث قال: «يقال: أبدعت الناقة إذا انقطعت عن السير بكَلاَل أو ظَلْع، كأنه جعل انقطاعها عما كانت مستمرة عليه من عادة السير إبداعًا، أي: إنشاء أمر خارج عما اعتيد منها»[(٢)].

تعريف البدعة شرعًا:

(١) معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٠٩) مادة (بدع).
(٢) النهاية (١/ ١٠٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اختلفت تعريفات العلماء للبدعة، وهذا الاختلاف يرجع إلى زيادة قيود وضوابط عند بعضهم لا يذكرها الآخر، فمن هذه التعريفات:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية / : «البدعة ما خالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة، من الاعتقادات والعبادات»[١].

وقال الحافظ ابن رجب / : «المراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعًا، وإن كان بدعة لغة»[٢].

ومن أجمع التعريفات وأحسن الضوابط للبدعة ما ذكره الإمام الشاطبي / [٣] حيث قال: «**البدعة: عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه**»،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٤٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٦٦).

(٣) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، توفي سنة (٧٩٠)هـ، له مؤلفات من أهمها: (الموافقات في أصول الفقه) و(الاعتصام).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خطر البدعة والتحذير منها:

عقد الإمام الشاطبي / بابًا في كتابه (الاعتصام) في ذم البدع وسوء منقلب أصحابها، بين فيه خطر البدع وذمها من النقل والعقل.

أما النقل فمن وجوه:

أحدها: ما جاء في القرآن الكريم مما يدل على ذم من ابتدع في دين الله في الجملة:

* فمن ذلك قول الله تعالى: *

[آل عمران:٧].

فهذه الآية من أعظم الشواهد، وقد جاء في الحديث تفسيرها:

فصح من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سألت رسول الله ^ عن قوله: *

[آل عمران:٧]، قال: (فإذا رأيتيهم فاعرفيهم)[1].

---

(1) الترمذي (٥/ ٢٢٢) (٢٩٩٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* وقوله تعالى: *

& ÇÎÌÈ bqàÁG? Nà6 =ê9 ¾ïÎ Nã8¢r Nãï‰Œ ¾ìÎ‹Î™ `ã Nãî -šÝGù

[الأنعام:١٥٣].

* وقوله تعالى: *

Nà6 1‰I; ä$© q9r Ëß$_ $g¥Br È@‹ïi 9$R‰Á% «!$'?ãr *

&ÇÌÈ šú üÏÈHd& [النحل:٩].

* وقوله تعالى: *

&ÇÎÌÈ bqèÿf{q‰. $Y8 Nãâ™ãNê«!$'Î Nèéä& $JRÎ [الأنعام:١٥٩].

الوجه الثاني من النقل: ما جاء في الأحاديث المنقولة عن رسول الله ^:

- فمن ذلك: ما في الصحيح من حديث عائشة ﵂ عن النبي ^ قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[(١)].

- وفي رواية لمسلم: (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد)[(٢)].

- وخرَّج مسلم عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ^ كان يقول في خطبته: (أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد،

---

(١) البخاري (٢/٩٥٩)(٢٥٥٠)، مسلم (٣/١٣٤٣)(١٧١٨).

(٢) مسلم (٣/١٣٤٣)(١٧١٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة)[١].

- وفي رواية: قال: (كان رسول الله ^ يخطب الناس؛ يحمد الله، ويثني عليه بما هو أهله، ثم يقول: من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، وخير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة)[٢].

- وفي رواية للنسائي: (وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)[٣].

- وروى الترمذي أيضًا وصححه، وأبو داود، وغيرهما عن العرباض بن سارية ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ^ ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة؛ ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب؛ فقال قائل: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء

---

(١) مسلم (٢/٥٩٢)(٨٦٧).

(٢) مسلم (٢/٥٩٢)(٨٦٧).

(٣) النسائي في سننه (٣/١٨٨-١٨٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[١].

- وفي حديث الصحيفة: (المدينة حرمٌ ما بين عير إلى ثور، من أحدث فيها حدثًا، أو آوى محدِثًا؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبلُ الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا)[٢].

وهذا الحديث في سياق العموم، فيشمل كل حدث أحدث فيها مما ينافي الشرع، والبدع من أقبح الحدث، وهو وإن كان مختصًا بالمدينة؛ فغيرها أيضًا يدخل في المعنى[٣].

الوجه الثالث من النقل: ما جاء عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ﷺ في ذم المخالفين لأهل السنة والجماعة، وهو كثير:

- ما صح عن عمر بن الخطاب ﷺ: أنه خطب الناس فقال: **(أيها الناس! قد سنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينًا وشمالًا)**.

وصفق بإحدى يديه على الأخرى، ثم قال: (إياكم أن تهلكوا عن

---

(١) أبو داود (٢/ ٦١٠)(٤٦٠٧)، الترمذي (٥/ ٤٤)(٢٦٧٦).

(٢) البخاري (٦/ ٢٤٨٢)(٦٣٧٤)، مسلم (٢/ ٩٩٤)(١٣٧٠).

(٣) الاعتصام للشاطبي (١/ ٩٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آية الرجم؛ أن يقول قائل: لا نجد حدين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله ^ ورجمنا...)[١] إلى آخر الحديث.

- وفي الصحيح عن حذيفة ﷺ أنه قال: (يا معشر القراء! استقيموا، فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، وإن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا)[٢].

- وعنه أيضًا: **(أخوف ما أخاف على الناس اثنتان: أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون، وأن يضلوا وهم لا يشعرون)**[٣].

- وأيضًا عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: **(اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم)**[٤].

- وعن عمر بن عبد العزيز / : **(سن رسول الله ^ وولاة الأمر من بعده**[٥] **سننًا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة**

---

(١) الموطأ (٢/ ٨٢٤)، سنن البيهقي (٨/ ٢١٢).

(٢) البخاري (٦/ ٢٦٥٦)(٦٨٥٣).

(٣) حلية الأولياء (١/ ٢٧٨)، الزهد لهناد (٢/ ٤٦٥). انظر: الاعتصام (١/ ٦٠).

(٤) سنن الدارمي (١/ ٨٠)، السنة للمروزي (١/ ٢٨)، وانظر: مجمع الزوائد (١/ ٤٣٤).

(٥) وهم الخلفاء الراشدون: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من عمل بها مهتدٍ، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا)[1][2].

وأما الوجه الآخر فهو النظر والعقل:

قال الإمام الشاطبي / -وهو أحسن من تكلم في شأن البدعة-:

$أما النظر فمن وجوه:

أحدها: أنه قد علم بالتجارب والخبرة السارية في العالم من أول الدنيا إلى اليوم أن العقول غير مستقلة بمصالحها؛ استجلابًا لها، أو مفاسدها؛ استدفاعًا لها.

والثاني: أن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان؛ لأن الله تعالى قال فيها: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣].

فإذا كان كذلك، فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله: إن الشريعة لم تتم، وإنه بقي منها أشياء يجب أن يستحب استدراكها؛ لأنه لو كان معتقدًا لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع، ولا استدرك عليها،

---

(١) الشريعة (٩٢) (١/ ٤٠٨).

(2)الاعتصام (١/ ٧٠-١١٧) بتصرف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم.

قال ابن الماجشون[١]: سمعت مالكًا يقول: (**من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ فقد زعم أن محمدًا ^ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: * &ûÍ_ÏFyèø9$# ÏM»ysÎ=»¢Á9$# ÏQöqs)ø9$# [المائدة:٣]، فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا**).

والثالث: أن المبتدع معاند للشرع، ومشاق له؛ لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقًا خاصة على وجوه خاصة، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وأخبر أن الخير فيها، وأن الشر في تعديها... إلى غير ذلك؛ لأن الله يعلم ونحن لا نعلم، وأنه إنما أرسل الرسول ^ رحمة للعالمين، فالمبتدع راد لهذا كله؛ فإنه يزعم أن ثم طرقًا أخر، ليس ما حصره الشارع بمحصور، ولا ما عينه بمتعين، كأن الشارع يعلم ونحن أيضًا نعلم، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع أنه علم ما لم يعلمه الشارع، وهذا إن كان مقصودًا للمبتدع فهو كفر بالشريعة والشارع، وإن كان غير مقصود فهو ضلال مبين.

---

(١) عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة بن الماجشون التيمي مولاهم المدني المالكي، تلميذ الإمام مالك، توفي سنة (٢١٣)هـ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والرابع: أن المبتدع قد نزّل نفسه منزلة المضاهي للشارع؛ لأن الشارع وضع الشرائع، وألزم الخلق الجري على سننها، وصار هو المنفرد بذلك؛ لأنه حكم بين الخلق فيما كانوا فيه يختلفون، وإلا فلو كان التشريع من مدركات الخلق لم تنزل الشرائع، ولم يبق الخلاف بين الناس، ولا احتيج إلى بعث الرسل ‡ .

فهذا الذي ابتدع في دين الله قد صير نفسه نظيرًا ومضاهيًا للشارع، حيث شرع مع الشارع، وفتح للاختلاف بابًا، ورد قصد الشارع في الانفراد بالتشريع، وكفى بذلك.

والخامس: أنه اتباع للهوى؛ لأن العقل إذا لم يكن متبعًا للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة، وأنت تعلم ما في اتباع الهوى وأنه ضلال مبين#[1].

(1) الاعتصام (١ / ٦١-٦٧) بتصرف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الثالث
أنواع البدعة وأحوال أهلها

قال ابن تيمية / :

«إن البدعة التي يعد الرجل بها من أهل الأهواء: ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة؛ كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة».

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنواع البدعة وأحوال أهلها

البدع ليست على مرتبة واحدة، فمنها البدعة الكفرية المخرجة من الملة، ومنها البدعة التي لا تخرج من الملة، ولكن صاحبها على خطر، ومنها البدعة العملية، ومنها البدعة الاعتقادية، ومنها البدعة الحقيقية، ومنها البدعة الإضافية.

وهكذا تختلف مراتب البدع وتتفاوت، واختلاف مراتب البدع هو باختلاف متعلقاتها، وهذه المتعلقات تنحصر في:

١ - مسائل الأصول ومسائل الاجتهاد.

٢ - القواعد والأصول الاعتقادية والعملية، والفروع الاعتقادية والعملية.

٣ - الضروريات والحاجيات والتكميليات.

٤ - الكليات والجزئيات.

٥ - البدع الحقيقية والإضافية.

٦ - البدع التي يظهر مأخذها والتي يشكل مأخذها[١].

وباختلاف هذه المتعلقات تختلف مرتبة البدعة، وتختلف طريقة التعامل مع الواقع في البدعة والحكم عليه، ولا بد من مراعاة هذه

---

(١) حقيقة البدعة للغامدي (٢/ ١٩٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفروق والاختلافات والمراتب.

وقد اشترط الشاطبي شروطًا لكون البدعة صغيرة، إذا انتفى شرط منها صارت هذه البدعة كبيرة؛ فقال / :

«وإذا قلنا: إن من البدع ما يكون صغيرة، فذلك بشروط:

أحدها: أن لا يداوم عليها؛ فإن الصغيرة من المعاصي لمن داوم عليها تكبر بالنسبة إليه؛ لأن ذلك ناشئ على الإصرار عليها، والإصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة، ولذلك قالوا: (لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار)[1]، فكذلك البدعة من غير فرق...

والشرط الثاني: أن لا يدعو إليها؛ فإن البدعة قد تكون صغيرة بالإضافة، ثم يدعو مبتدعها إلى القول بها والعمل على مقتضاها، فيكون إثم ذلك كله عليه؛ فإنه الذي أثارها وسبب كثرة وقوعها والعمل بها؛ فإن الحديث الصحيح قد أثبت أن كل من سن سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا، والصغيرة مع الكبيرة إنما تفاوتها بحسب كثرة الإثم وقلته، فربما تساوي الصغيرة من هذه الوجه الكبيرة أو تربُو عليها.

والشرط الثالث: أن لا تفعل في المواضع التي هي مجتمعات الناس، أو

---

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٤٤)، والديلمي في مسند الفردوس (٧٩٩٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المواضع التي تقام فيها السنن وتظهر فيها أعلام الشريعة.

فأما إظهارها في المجتمعات ممن يقتدى به أو ممن به الظن؛ فذلك من أضر الأشياء على سنة الإسلام.

والشرط الرابع: أن لا يستصغرها ولا يستحقرها وإن فرضناها صغيرة؛ فإن ذلك استهانة بها، والاستهانة بالذنب أعظم من الذنب»[١].

إلا أن الذي يظهر من كلامه / أن هذه الشروط متعلقة بحجم الإثم الذي يلحق صاحب البدعة، وليس الكلام عن حجم هذه البدعة في نفسها.

والحكم على صاحب البدعة يكون بحسب نوع البدعة الواقع فيها ومرتبتها، مع النظر إلى حال هذا الشخص وما عرض له من شبهة أو تأويل، وكذلك درجته ومرتبته في العلم والسنة.. إلى اعتبارات أخرى ينبغي مراعاتها عند الحكم على الواقع في البدعة.

متى يكون الرجل -أو الطائفة- مفارقًا لأهل السنة:

يقول شيخ الإسلام / : «**والبدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء: ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة، كبدعة الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، فإن عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط وغيرهما قالوا: أصول اثنتين وسبعين فرقة هي أربع:**

---

(١) الاعتصام (٢/ ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة»[١].

رواية المخالف وحكم قبولها:

ومما يلحق هذا مسألة رواية المخالف، فإن كثيرًا من العلماء يفرقون في هذه المسألة بين المخالفين باعتبار بدعتهم، وباعتبار نشاطهم وتحمسهم لهذه البدعة، فيفرقون بين صاحب البدعة المكفرة، وصاحب البدعة المفسقة، وبين الداعية للبدعة وغير الداعية.

قال الإمام النووي: «قال العلماء من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول: المبتدع الذي يكفر ببدعته لا تقبل روايته بالاتفاق»[٢].

ثم لو كانت البدعة غير مكفرة فينظر فيها؛ فيفرق بين البدعة الصغرى والبدعة الكبرى، ويفرق كذلك بين من أوقعته بدعته في استحلال الكذب، وبين من كانت بدعته بعيدة عن استحلال الكذب.

وقال شيخ الإسلام / : «**ورد شهادة من عرف بالكذب متفق عليه بين الفقهاء**»[٣].

فإن كان المخالف خارجًا عن الأصناف السابقة -أي: لم يكن من أصحاب البدع المكفرة الكبرى، ولم يكن ممن يستحل الكذب- فقد وقع خلاف بين العلماء في قبول روايته وعدمه.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/٤١٤).

(٢) شرح صحيح مسلم (١/٦٠)، وانظر: التقريب للنووي أيضًا (ص:٣٢٤).

(٣) منهاج السنة (١/٦٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال ابن الصلاح / : «اختلفوا في قبول رواية المبتدع الذي لا يكفر في بدعته: فمنهم من رد روايته لأنه فاسق ببدعته، وكما استوى في الكفر المتأول وغير المتأول يستوي في الفسق المتأول وغير المتأول، ومنهم من قبل رواية المبتدع إذا لم يكن ممن يستحل الكذب في نصرة مذهبه أو لأهل مذهبه، سواء كان داعية إلى بدعته أو لم يكن، وعزا بعضهم هذا إلى الشافعي لقوله: «أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية من الرافضة؛ لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم».

وقال قوم: تقبل روايته إذا لم يكن داعية إلى بدعته، ولا تقبل إذا كان داعية. وهذا مذهب الكثير أو الأكثر من العلماء، وحكى بعض أصحاب الشافعي رحمه الله خلافًا بين أصحابه في قبول رواية المبتدع إذا لم يدع إلى بدعته، وقال: أما إذا كان داعية فلا خلاف بينهم في عدم قبول روايته.

وقال أبو حاتم بن حبان البُستي أحد المصنفين من أئمة الحديث: $الداعية إلى البدع لا يجوز الاحتجاج به عند أئمتنا قاطبةً، لا أعلم بينهم فيه خلافًا#.

وهذا المذهب الثالث أعْدَلُها وأوْلاها، والأول بعيد مباعد للشائع عن أئمة الحديث، فإن كتبهم طافحة بالرواية عن المبتدعة غير الدعاة، وفي الصحيحين كثير من أحاديثهم في الشواهد والأصول. والله أعلم»[1].

فالتفريق بين الداعية وغير الداعية هو قول الأكثر كما تقدم؛ بل نقل

(١) علوم الحديث (ص:١٠٣-١٠٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن حبان الإجماع على هذا القول، وإن كانت دعوى الإجماع غير صحيحة.

وممن نقل عنه هذا القول عبد الله بن المبارك / ، وعبد الرحمن بن مهدي / ، والإمام أحمد / ، وروي هذا القول عن الإمام مالك / [(١)].

عقوبة المخالفين لأهل السنة وتعزيرهم:

ومما يتفرع عن اختلاف البدع ومراتبها: باب العقوبات والتعزيرات للمخالفين لأهل السنة والجماعة، فقد جاءت آثار كثيرة عن السلف في عقوبة المخالفين بعقوبات مختلفة؛ من حبس وضرب وجلد ونفي وتغريب وإهانة وهجر.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في القدرية: (لو رأيت أحدهم لأخذت بشعره)[(٢)].

وعن مالك بن أنس / قال: «من قال: القرآن مخلوق، يوجع ضربًا ويحبس حتى يموت»[(٣)].

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «سألت أبي عن رجل ابتدع بدعة

---

(١) انظر: الكفاية (ص:١٢٦-١٢٨)، والسنن الكبرى (١٠/٢٠٨)، وطبقات الحنابلة(١/٢٥٠)، وشرح السنة(١/٢٥٠)، وجامع بيان العلم وفضله (٢/٨٢١).

(٢) الشريعة (٤٥٤) (٢/٨٧٣-٨٧٤).

(٣) المصدر السابق (١٦٦) (١/٥٠١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يدعو إليها، وله دعاة عليها، هل ترى أن يحبس؟ قال: نعم. أرى أن يحبس وتكف بدعته عن المسلمين»[١].

وفي المقابل هناك آثار أخرى عن السلف تختلف عما ذكر..

قال أبو داود: قلت لأحمد: «لنا أقارب بخراسان يرون الإرجاء، فنكتب إلى خراسان نقرئهم السلام؟ قال: سبحان الله لماذا لا تقرئهم؟!».

وفي رواية قال: قلت لأحمد: «نكلمهم؟ قال: نعم. إلا أن يكون داعيًا ويخاصم فيه»[٢].

وهذا الاختلاف في مواقف السلف تجاه المخالفين من جهة عقوبتهم والتنكيل بهم، يرجع إلى اختلاف البدع واختلاف أحوال أصحابها.

قال شيخ الإسلام / بعد أن ذكر بعض عقوبات المخالفين: «وإذا عُرف أن هذا هو من باب العقوبات الشرعية؛ عُلم أنه يختلف باختلاف الأحوال؛ من قلة البدعة وكثرتها، وظهور السنة وخفائها، **وأن المشروع قد يكون هو التأليف تارة والهجران أخرى. كما كان النبي ^ يتألف أقوامًا من المشركين ممن هو حديث عهد بالإسلام، ومن يخاف عليه الفتنة، فيعطي المؤلفة قلوبهم ما لا يعطي غيرهم.**

قال في الحديث الصحيح: (إني أعطي رجالًا وأدع رجالًا، والذي أدع

---

(١) مسائل الإمام أحمد برواية عبد الله (ص:٢٢٤).

(٢) مسائل الإمام أحمد لأبي داود (ص:٢٧٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحب إلي من الذي أعطي، أعطي رجالًا لما جعل الله في قلوبهم من الهلع والجزع، وأدع رجالًا لما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، منهم عمرو بن تغلب)[١].

وقال: (إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله على وجهه في النار)[٢] أو كما قال.

وكان يهجر بعض المؤمنين، كما هجر الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك؛ لأن المقصود دعوة الخلق إلى طاعة الله بأقوم طريق، فيستعمل الرغبة حيث تكون أصلح، والرهبة حيث تكون أصلح.

ومن عرف هذا تبين له أن من رد الشهادة والرواية مطلقًا من المخالفين لأهل السنة والجماعة المتأولين فقوله ضعيف، فإن السلف قد دخلوا بالتأويل في أنواع عظيمة، ومن جعل المظهرين للبدعة أئمة في العلم والشهادة لا ينكر عليهم بهجر ولا ردع، فقوله ضعيف أيضًا، وكذلك من صلى خلف المظهر للبدع والفجور من غير إنكار عليه ولا استبدال به من هو خير منه مع القدرة على ذلك، فقوله ضعيف، وهذا يستلزم إقرار المنكر الذي يبغضه الله ورسوله مع القدرة على إنكاره، وهذا لا يجوز، ومن أوجب الإعادة على كل من صلى خلف كل ذي

(١) صحيح البخاري (٦/ ٢٧٤١)(٧٠٩٧).

(٢) سنن أبي داود (٢/ ٦٣٢) (٤٦٨٣)، سنن النسائي (٨/ ١٠٣)(٤٩٩٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فجور وبدعة فقوله ضعيف، فإن السلف والأئمة من الصحابة والتابعين صلوا خلف هؤلاء وهؤلاء لما كانوا ولاة عليهم، ولهذا كان من أصول أهل السنة: أن الصلوات التي يقيمها ولاة الأمور تصلى خلفهم على أي حالة كانوا، كما يحج معهم ويغزى معهم»[(١)].

هجر المخالف:

ومما يتعلق بهذا الباب قضية مهمة لا بد من معرفة القول الفصل فيها، خصوصًا في هذه الأزمان، وهي: قضية الهجر، وهو: الإعراض عن المخالف وعدم مجالسته وترك مكالمته وعدم السلام عليه وترك الدخول عليه، وهذه القضية قضية لا بد من معرفة المقاصد الشرعية لها؛ حتى يمكن التعامل معها بالطريقة الصحيحة.

مشروعية الهجر:

الهجر أمر مشروع عند الحاجة إليه (قد يستحب وقد يجب)، والأدلة على مشروعية الهجر عند الحاجة إليه كثيرة من الكتاب والسنة والإجماع.

أولًا: من القرآن:

قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨]، ففي هذه الآية دلالة على تحريم

(١) منهاج السنة النبوية (١/ ٦٣-٦٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مجالسة أهل البدع والأهواء وأهل الكبائر والمعاصي.

وقوله تعالى: *

[النساء:١٤٠].

وقوله تعالى: *

[هود:١١٣].

قال القرطبي / : «الصحيح في معنى هذه الآية: أنها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم، فإن صحبتهم كفر أو معصية؛ إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة»(١).

وقول الله تعالى: *

[المجادلة:٢٢].

ثانيًا: من السنة النبوية:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ^ قال: (سيكون في آخر أمتي ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم)(٢).

حديث الصحيفة المشهور عن علي ﷺ عن النبي ^ ، وفيه: (المدينة

---

(١) تفسير القرطبي (٩/١٠٨).

(٢) مسلم (١/١٢)(٦) في المقدمة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين...) الحديث[١].

كذلك ما جاء في الأحاديث المتكاثرة في هجر النبي ^ لأهل المعاصي حتى يتوبوا، ثبت ذلك في وقائع متعددة، رواها عن النبي ^ جماعة من الصحابة ﷺ منهم: كعب بن مالك، وابن عمرو روى حديثين، وعائشة، وأنس، وعمار، وعلي، وأبو سعيد الخدري، وغيرهم ﷺ.

فقد هجر النبي ^ كعب بن مالك وصاحبيه ﷺ لما تخلفوا عن غزاة تبوك، واستمر هجرهم مدة خمسين ليلة، حتى آذن رسول الله ^ بتوبة الله عليهم[٢].

وهجر ^ زينب بنت جحش ﷺ قريبًا من شهرين لما قالت: (أنا أعطي تلك اليهودية) تعني صفية ﷺ[٣].

وهجر ^ صاحب القبة المشرفة بالإعراض عنه حتى هدمها[٤].

وهجر ^ عمار بن ياسر ﷺ بتركه ^ رد السلام عليه؛ لملابسته

---

(١) البخاري (٦/ ٢٤٨٢)(٦٣٧٤)، مسلم (٢/ ١١٤٦)(١٣٧٠).

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٦٠٣، ١٧١٨)(٥/ ٢٣٠٨)(٦/ ٢٦٤٠)(٤١٥٦، ٤٤٠٠، ٥٩٠٠، ٦٧٩٨)، صحيح مسلم (٤/ ٢١٢٠)(٢٧٦٩).

(٣) سنن أبي داود (٢/ ٦٠٩)(٤٦٠٢).

(٤) سنن أبي داود (٢/ ٧٨١)(٥٢٣٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخلوق حتى غسله[١].

وهجر ^ رجلًا بالإعراض عنه؛ لأنه كان متخلقًا بخلوق[٢].

وهجر النبي ^ رجلًا رأى في يده خاتمًا من ذهب حتى طرحه، وكان هجره له بالإعراض عنه[٣].

ونحوه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ[٤].

وهجر النبي ^ رجلًا بترك رد السلام عليه؛ وذلك لأن عليه ثوبين أحمرين[٥].

تطبيق الصحابة ﷺ فمن بعدهم لهذه السنة النبوية:

وقد أخذ الصحابة ﷺ بالهجر في مواضع.

فهجر عمر ﷺ زياد بن حدير لما رأى عليه طيلسانًا وشاربه عاف، إذ سلم زياد فلم يرد عليه عمر السلام حتى خلع الطيلسان وقص

---

(١) سنن أبي داود (٢/ ٦٠٩)(٤٦٠١)، مسند الطيالسي (١/ ٩٠) (٦٤٦).

(٢) الأدب المفرد (١/ ٣٥٢)(١٠٢٠)، المعجم الأوسط (٣/ ٣٤٣)(٣٣٥٠).

(٣) الأدب المفرد (١/ ٣٥٢)(١٠٢١).

(٤) سنن النسائي (٨/ ١٧٥)(٥٢٠٦)، الأدب المفرد (١/ ٣٥٢)(١٠٢٢).

(٥) سنن أبي داود (٢/ ٤٥٠)(٤٠٦٩)، سنن الترمذي (٥/ ١١٦)(٢٨٠٧)، المستدرك (٤/ ٢١١) (٧٣٩٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شاربه[١].

وعلي بن أبي طالب ﷺ كان يعتقل أصحاب النرد غدوة ونحوها، وينهى عن السلام عليهم[٢].

وهجر عبد الله بن عمر ﷺ رجلًا رآه يخذف بعدما أعلمه أن النبي ^ كان ينهى عن الخذف، وقال: (والله لا أكلمك أبدًا)[٣].

وهجر عبد الله بن المغفل ﷺ رجلًا يخذف في نحو ذلك، وهجر شيخ من أصحاب رسول الله ^ فتىً كان يخذف[٤].

ثالثًا: الإجماع:

حكاه جماعة، منهم: القاضي أبو يعلى، والبغوي، والغزالي[٥].

المقاصد الشرعية للهجر:

يمكن تلخيص المقاصد الشرعية للهجر في الآتي:

١ - أن الزجر بالهجر عقوبة شرعية للمهجور، فهي من جنس الجهاد

---

(١) حلية الأولياء (٤/١٩٧-١٩٨).

(٢) الأدب المفرد (١/٤٣٣)(١٢٦٨).

(٣) المستدرك (٤/٣١٥)(٧٧٦٠).

(٤) سنن الدارمي (١/١٢٧، ١٢٨)(٤٣٨، ٤٤٠).

(٥) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (١/٢٣٢)، وشرح السنة (١/٢٢٦-٢٢٧)، وإحياء علوم الدين (٢/١٦٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وأداءً لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقربًا إلى الله تعالى بواجب الحب فيه ﷻ.

٢- بعث اليقظة في نفوس المسلمين من الوقوع في هذه البدعة وتحذيرهم.

٣- تحجيم انتشار البدعة.

٤- قمع المخالف وزجره، ليضعف عن نشر بدعته، فإنه إذا حصلت مقاطعته، والنفرة منه بات كالثعلب في جحره[١].

٥- وأيضًا من المقاصد الشرعية: تنبيه المخالف على خطئه؛ ليستشعر مخالفته للمسلمين، فيتوب ويرجع عن بدعته.

ضوابط الهجر الشرعية[٢]:

مما ينبه عليه في هذا المجال أن هجر المخالف إنما هو من باب القرب والعبادات، ولذا فلا بد من شرطي القبول، وهما:

١- **الإخلاص**: وهو ميزان الأعمال في باطنها، فلا بد أن يقصد الهاجر للمخالف النصيحة لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين، وأن يقصد سد باب البدعة، وزجر صاحبها ليعود إلى السنّة من غير أن يلتبس ذلك بمقاصد أخرى، حيث يدخل حظ النفس والهوى.

---

(١) انظر: هجر المبتدع، بكر بن عبد الله أبو زيد (ص:١١).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص:٤٠-٤٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال شيخ الإسلام ابن تيمية / : (وإذا عرف هذا فالهجرة الشرعية من الأعمال التي أمر الله بها ورسوله، فالطاعة لا بد أن تكون خالصة لله، وأن تكون موافقة لأمره، فمن هجر لهوى نفسه أو هجر هجرًا غير مأمور به كان خارجًا عن هذا)[١].

٢ - المتابعة، وهي ميزان الأعمال في ظاهرها.

وهجر المخالف له ضوابط تقوم على قاعدة رعاية المصالح ودرء المفاسد، يقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله: «مشروعية الهجر هي في دائرة ضوابطه الشرعية المبنية على رعاية المصالح ودرء المفاسد»[٢].

وحتى يتحقق السبب الموجب للهجر لا بد من التأكد من عدة أمور:

١ - التأكد والتثبت من وجود البدعة، فلا يكفي بالشائع والمنقول عن فلان، بل لا بد من التثبت بسماع قوله أو رؤية فعلته أو كتابته.

٢ - أن تكون البدعة مما اتفق على بدعيتها، فلا يهجر في المسائل التي اختلفت آراء العلماء في بدعيتها.

٣ - بلوغ الحجة للمبتدع، وفهمها، وزوال مانع الجهل، وارتفاع الشبهة، وانقشاع الغفلة[٣].

---

(1) مجموع الفتاوى: (٢٨/ ٢٠٧).

(2) هجر المبتدع (ص:٤١).

(3) حقيقة البدعة وأحكامها: (٢/ ٣٤٠) بتصرف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويمكن تلخيص الضوابط الشرعية للهجر في ضابطين:

الأول: مراعاة المصلحة والمفسدة.

الثاني: أن العقوبة تكون على قدر الجرم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية / في المسلك الحق في الهجر: $**فإن أقوامًا جعلوا ذلك عامًا، فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به، فلا يجب ولا يستحب، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات.**

وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية، فلم يهجروا ما أمروا بهجره من السيئات البدعية؛ بل تركوها ترك المعرض لا ترك المنتهي الكاره، أو وقعوا فيها، وقد يتركونها ترك المنتهي الكاره، ولا ينهون عنها غيرهم، ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها، فيكونون قد ضيعوا من النهي عن المنكر ما أمروا به إيجابًا أو استحبابًا، فهم بين فعل المنكر أو ترك المنهي عنه، وذلك فعل ما نهوا عنه وترك ما أمروا به، فهذا هذا، ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه. والله سبحانه أعلم#[(١)].

فباعتبار اختلاف مرتبة البدعة من الإثم هو من عدة جهات[(٢)]:

من جهة كونها كفرًا أو غير كفر:

---

(١) الفتاوى (٢٨/٢١٣)، وانظر منه: (ص:٢٠٦).

(٢) انظر بسط هذه الجهات الست في الاعتصام للشاطبي / (١/١٦٧-١٧٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالمكفرة مثل: البابية، والبهائية، والقاديانية.

وغير المكفرة مثل عامة البدع في العبادات حقيقية كانت أو إضافية.

ومن جهة كون صاحبها مستترًا بها أو معلنًا لها، أظهرها فاستحق العقوبة بخلاف الكاتم؛ فإنه ليس شرًا من المنافقين الذين كان النبي ^ يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى، هذا وهم في الدرك الأسفل من النار[1].

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «**فلهذا ونحوه رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات الزيغ من المظهرين للبدع والداعين إليها، والمظهرين للكبائر، فأما من كان مستترًا بمعصيته أو مسرًا لبدعة غير مكفرة فإن هذا لا يهجر، وإنما يهجر الداعي إلى البدعة؛ إذ الهجر نوع من العقوبة وإنما يعاقب من أظهر المعصية قولًا وعملًا**»[2].

ومن جهة كونها حقيقية أو إضافية.

فالبدعة الحقيقية: هي البدعة التعبدية المحدثة استقلالًا كصلاة الرغائب، وليست بدعة إضافية، ومثل صلاة القدر، وصلاة الألفية ليلة النصف من شعبان، وبدع الموالد، والأعياد الحكومية، وعيد غدير خم لدى الشيعة.. وهكذا.

---

(١)انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٥).

(2) مجموع الفتاوى (٢٤/ ١٧٤- ١٧٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والبدعة الإضافية: هي الأمر المبتدع مضافًا إلى ما هو مشروع أصلًا بزيادة أو نقص.

مثاله: الدعاء الجماعي بعد الصلاة، فالدعاء مشروع، وجعله جماعيًا بدعة مضافة لم يرد بها النص، وبناء العبادات على التوقيف، وسجود الشكر جماعة، واتخاذ التبليغ خلف الإمام سنة راتبة مع عدم الحاجة إليه.. وهكذا.

ومن جهة كونها بينة أو مشكلة:

أي: كونها ظاهرة المأخذ، فهي بدعة متمحضة كبدع المآتم والموالد، وصلاة الرغائب...

أو بدعة فيها احتمال لاشتباه مأخذها، مثاله: القنوت في صلاتي العشاء والصبح، فإنه كان ثم نسخ، وبقي المشروع فيها عند النوازل، وشبهة الخلاف لا تصيره مشروعًا راتبًا.

والحقيقة أن هذا الوجه صوري لا حقيقي؛ إذ البدع مشكلة المأخذ يلحق بها من الإشاعة والتعصب ما يجعلها بينة. والله أعلم[1].

ومن جهة اجتهاده فيها أو كونه مقلدًا:

فالمجتهد: مخترع للبدعة، فالزيغ أمكن في قلبه من المقلد، وإن كان كل

---

(١) انظر: الاعتصام (١/ ١٧٢-١٧٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منهما موزورًا، لكن إثم من سن سنة سيئة أعظم وزرًا. والله أعلم[١].

ومن جهة الإصرار عليها أو عدمه:

أما الإصرار عليها فيجعلها من باب الدعوة إليها، فيكون داعية معلنًا لها.

وأما عدم الإصرار فهو من باب كونها فلتة، وزلة عالم، إذا كانت منه ثم لم يعاودها[٢].

ويختلف باختلاف حال المخالف وما فيه من خير وشر:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية / : «**وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسنة وبدعة: استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللص الفقير، تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته.**

هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة...»[٣].

وفرق بين عالم تشربت نفسه بالبدع، لكنه لم يختلط بعلماء أهل السنة،

---

(١) انظر: الاعتصام (١/ ١٦٧-١٦٨).

(٢) انظر: الاعتصام (١/ ١٧٤).

(٣) الفتاوى (٢٨/ ٢٠٩) وانظر: (ص:٢٢٨) بأبسط من هذا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولم يتلق عنهم، وبين عالم تلقى عن المبتدعة فنالت منه منالًا، ثم خالط أهل السنة وعلماءهم وجاورهم مدة بمثلها يحصل برد اليقين، بل يكون عاشرهم عشرات السنين، ثم هو يبقى على مشاربه البدعية يعملها، ويدعو إليها، ويصر عليها، فهذا قامت عليه الحجة أكثر، واستبانت له المحجة فما أبصر، فهو من أعظم خلق الله فجورًا وغيضًا على أهل السنة، فالأول في تأليف قلبه وتوده للرجوع إلى السنة مجال. أما الثاني فلا والله، بل يتعين هجره ومنابذته وإبعاده، وإنزال العقوبات الشرعية للمخالفين عليه، وأن يهجر ميتًا كما هجر حيًا، فلا يصلي أهل الخير عليه، ولا يتبعون جنازته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية / في حق بعض العصاة المظهرين لفجورهم:

«وأما إذا أظهر الرجل المنكرات، وجب الإنكار عليه علانيةً، ولم يبق له غيبة، ووجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك من هجر وغيره، فلا يسلم عليه، ولا يرد ﷺ، إذا كان الفاعل لذلك متمكنًا من ذلك من غير مفسدة راجحة.

وينبغي لأهل الخير والدين أن يهجروه ميتًا، كما هجروه حيًا، إذا كان في ذلك كف لأمثاله من المجرمين، فيتركون تشييع جنازته، كما ترك النبي ^ الصلاة على غير واحد من أهل الجرائم، وكما قيل لسمرة بن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جندب[١]: إن ابنك مات البارحة، فقال: لو مات لم أصل عليه. يعني: لأنه أعان على من قتل نفسه، فيكون كقاتل نفسه، وقد ترك النبي ^ الصلاة على قاتل نفسه. وكذلك هجر الصحابة الثلاثة الذين ظهر ذنبهم في ترك الجهاد الواجب حتى تاب الله عليهم، فإذا أظهر التوبة أظهر له الخير..»[٢].

وفرق في حال المهجور بين القوي في الدين وبين الضعيف فيه، فإن القوي يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ به الضعيف في الدين، كما في قصة كعب بن مالك وصاحبيه ﷺ[٣].

وكذلك بالنسبة للأماكن:

«ففرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع، كما كثر القدر بالبصرة، والتنجيم بخراسان، والتشيع بالكوفة، وبين ما ليس كذلك»[٤].

وهذا على ما أفتى به الأئمة أحمد وغيره بناءً على هذا الأصل: رعاية المصالح الشرعية.

«ويختلف باختلاف الهاجرين أنفسهم في قوتهم وضعفهم وقلتهم

---

(١) رواه أحمد في الزهد (١/١٩٩).

(٢) الفتاوى (٢٨/٢١٧-٢١٨).

(٣) انظر: فتح الباري (٨/١٢٣) كتاب المغازي.

(٤) الفتاوى (٢٨/٢٠٦-٢٠٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكثرتهم»[١].

فإذا كانت الغلبة والظهور لأهل السنة كانت مشروعية هجر المخالف قائمة على أصلها، وإن كانت القوة والكثرة للمخالفين -ولا حول ولا قوة إلا بالله- فلا المخالف ولا غيره يرتدع بالهجر، ولا يحصل المقصود الشرعي؛ لم يشرع الهجر، وكان مسلك التأليف خشية زيادة الشر.

وهذا كحال المشروع مع العدو: القتال تارة، والمهادنة تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح[٢].

ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين / : «أما هجرهم فهذا يترتب على البدعة، فإذا كانت البدعة مكفرة وجب هجره، وإذا كانت دون ذلك فإننا نتوقف في هجره إن كان في هجره مصلحة فعلناه، وإن لم يكن فيه مصلحة اجتنبناه، وذلك أن الأصل في المؤمن تحريم هجره؛ لقول النبي ^ : (لا يحل لرجل مؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث)، فكل مؤمن وإن كان فاسقًا فإنه يحرم هجره ما لم يكن في الهجر مصلحة، فإذا كان في الهجر مصلحة هجرناه؛ لأن الهجر حينئذ دواء، أما إذا لم يكن فيه مصلحة أو كان فيه زيادة في المعصية والعتو، فإن ما لا مصلحة فيه تركه

---

(١) الفتاوى (٢٨/٢٠٦).

(٢) هجر المبتدع (ص:٤٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو المصلحة»[١].

وفي هذه الأزمان عظمت الفتنة وانتشرت البدعة، فأضحى أهل البدع رموزًا في بعض البلاد.. يُعلون بدعتهم ويُعْلنون بها.

وفي بعض البلاد إن ضعفت السنة في ديارهم ظهرت البدعة؛ وإن قويت السنة تلاشت البدعة، وغير خاف على البصير الخبير بمآخذهم تأليفهم الكتب الدعائية لمذاهبهم، حتى فتنوا بعض الجهلة في عقائدهم، كما أنهم مكّنّ لهم فأدخلوا بدعهم في كل بيت من خلال الفضائيات والمجلات، وكل ما استطاعوا إليه سبيلًا.

والواقع اليوم شاهد على ما نقول! فهل يترك الأمر وكأن شيئًا لم يكن؟! أم أنه تتحتم الدعوة إلى الحق والسنة كلٌّ بحسبه، وتشتد الحاجة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتصحيح العقائد، واستنفار الإمكانات للتصدي للباطل وأهله؟!!

مناظرة المخالفين لأهل السنة والجماعة(*):

وقريب من قضية الهجر قضية مناظرة المخالفين ومجادلتهم:

فإن مناظرة أهل الباطل ودحض شبههم قد جاء مدحه والحث عليه

---

(١) المجموع الثمين (١/ ٣٠-٣١).

(*) يراجع مقال رصين لشيخنا السيد/ حسن بن علي البار في مجلة البيان العدد (١٩١) بعنوان (مناظرة أهل البدع).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في كتاب الله تعالى، كما قال تعالى: *þàÃöJ¤ þJÃtø 7î è‹î™ 4‹î ä$$* [النحل:١٢٥]، وامتن الله على إبراهيم بإتيانه له الحجة، كما قال تعالى: *4?ã OÜº•î $g¥¤#ä $Zf ã 7ör* [الأنعام:٨٣]، وقد حكى الله ﷻ عدة مناظرات بين أهل الحق وأهل الباطل، ومن ذلك: مناظرة إبراهيم لقومه كما في سورة الأنعام، ومناظرة موسى لفرعون كما في سورة الشعراء وغيرها.

وقد جاء عن السلف جواز المناظرة والمجادلة في بعض الأحيان.

فقد قال كثير من أئمة السلف: «**ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوا فقد كفروا**»(١).

وورد أيضًا في المقابل ذم المجادلة والخصومة في الدين.

قال الله تعالى: *8öf Yù ry. ûï$ v «$M»ƒ# þÎ ¤¤g $B* [غافر:٤].

ومن السنة أدلة كثيرة، منها: قوله ^ كما في حديث عائشة ﵂: (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)(٢).

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٧).

(٢) البخاري (٢/ ٨٦٧) (٤/ ١٦٤٤) (٦/ ٢٦٢٨) (٢٣٢٥) (٤٢٥١) (٦٧٦٥)، مسلم (٤/ ٢٠٥٤) (٢٦٦٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال النووي / : «الألد: شديد الخصومة، مأخوذ من لديدي الوادي، وهما جانباه؛ لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر، وأما الخصم: فهو الحاذق الخصومة، والمذموم هو الخصومة بالباطل في رفع حق أو إثبات باطل، والله أعلم»(١).

وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ^ : **(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم قرأ:** * $B ÏNºuqô 79 ÏM≈tƒÏ‰ ãΝåκ ‰Ïèø ‰ƒr& [الزخرف:٥٨])(٢).

وقد جاء عن السلف ما يدل أيضًا على ذم المجادلة والخصومة في الدين.

قال عبد الرحمن بن مهدي: «أدركت الناس وهم على الجملة، يعني لا يتكلمون ولا يخاصمون»(٣).

وقال الإمام أحمد / : «**أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ^ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء**

---

(١) شرح مسلم (١٦/٢١٩).

(٢) الترمذي (٥/٣٧٨)(٣٢٥٣)، ابن ماجة (١/١٩)(٤٨)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١/٣٣).

(٣) الإبانة الكبرى (٢/٥٢٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والجدال والخصومات في الدين»[١].

ولكن هذا كله -أي: المدح والذم- لا يرجع إلى ذات الجدل والمناظرة، وإنما هو راجع إلى تحقق أهداف المناظرة وشروطها وآدابها.

أولاً: المقصود الشرعي لمناظرة المخالفين ومجادلتهم:

١) دعوة المخالفين وإيصال الحق إليهم، وإقناعهم ببطلان ما هم عليه من البدع.

٢) الذب عن الدين، وتصفيته مما يلبس به المخالفين وما يشوبون به نصوصه من التحريفات والتأويلات.

٣) حماية العامة من الوقوع في البدع، وتحصينهم من الشبهات وبيانها وبيان الرد عليها.

٤) فضح المخالفين وتعرية باطلهم؛ لئلا يلتبس على الناس.

٥) جمع الناس على كلمة سواء؛ لأن المسلمين مأمورون بالاعتصام بحبل الله، ولا يمكن اجتماعهم على غيره أصلًا، ففي نفي زغل البدعة تقدم نحو تحقيق هذا المقصد الشرعي العظيم.

وبناء على هذه المقاصد الشرعية ينبني الحكم على المناظرة والمجادلة، فمتى توافرت هذه المقاصد وتحققت كانت هذه المناظرة شرعية محمودة، ومتى انتفت هذه المقاصد ولم تتحقق كانت هذه المناظرة مذمومة.

ولهذا وضع العلماء ضوابط تميز المناظرة المحمودة عن المذمومة، وهي

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٥٦)، الآداب الشرعية (١/ ٢٠١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التي يكون عنها الكلام فيما يأتي.

ثانيًا: ضوابط المناظرة:

١) العلم: فلابد لمن يناظر المخالفين ويجادلهم من العلم، وقد ذم الله الجدال بغير علم فقال تعالى: *ßÎ®r Ðtã Îöï «ƒ$’Î ÄÅ‰gã `B Ä $Z9$ `Ïr* [الحج:٣]، وقال: *$JŠù Öƒð f»m ãtwèd Ïär'»d* & ÇÌÈ ‰ƒÌB 9»Ürø© @à2 $JŠù šc q•`$sÊ Nîù Ïde ¾ïï Nã9 § $JŠù Öde ¾ïï Nã9 & [آل عمران:٦٦]، وذكر الشاطبي عن أبي فروخ أنه كتب إلى مالك بن أنس: أن بلدنا كثير البدع، وأنه ألف لهم كلامًا في الرد عليهم. فكتب إليه مالك يقول له: «إن ظننت ذلك بنفسك، خفت أن تزل فتهلك، **لا يرد عليهم إلا من كان ضابطًا عارفًا بما يقول لهم، لا يقدرون أن يعرجوا عليه، فهذا لا بأس به، وأما غير ذلك، فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ فيمضوا على خطئه، أو يظفروا منه بشيء فيطغوا ويزدادوا تماديًا على ذلك**»[(١)]. اهـ.

٢) ألا يناظر إلا من يطمع في هدايته وانتفاعه:

قال ابن عون / : «سمعت محمد بن سيرين ينهى عن الجدال، إلا رجلًا إن كلمته طمعت في رجوعه»[(٢)].

إلا أنه يراعى في هذا بعض المقامات التي تتطلب المناظرة ولو لم يرج

---

(١) انظر: الاعتصام (١/ ٤٤).

(٢) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٤١) رقم (٦٨١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رجوع هذا المخالف وهدايته، وهذا كما لو طلب المناظرة أمام الملأ، كما يجري الآن على شاشات الفضائيات والإنترنت، وكان في ترك مناظرته خذلان للسنة وظهور للبدعة، وربما أدى ترك مناظرته إلى اغترار الناس به، وظنهم أنه على حق، وأن من ترك مناظرته على باطل.

قال الإمام أحمد: «قد كنا نأمر بالسكوت، فلما دعينا إلى أمر ما كان بدٌ لنا أن ندفع ذلك ونبين من أمره ما ينفي عنه ما قالوه، ثم استدل لذلك بقوله تعالى: *r_«‰ Oگ@ ÓÉ$ ‘ ïd ¡ô& ß§& [النحل:١٢٥]»[1].

٣) أن يستخدم الأسلوب المناسب، ويحذر من كون المناظرة داعية للمبتدع في الإيغال في بدعته.

٤) أن تكون المناظرة بغية الوصول إلى الحق وبيانه مع الإخلاص لله تعالى فيها، وأن تجتنب المقاصد السيئة، ومن هذه المقاصد السيئة: المجادلة بقصد دحض الحق ورده؛ كما قال تعالى: *r_«‰ {q@ïÜ7@ {q@ïmÈ@ïî &¨;tø$ [غافر:٥].

ومنها: أن يكون القصد منها هو مجرد المجادلة والعناد، كما أخبر الله تعالى عن كفار قريش في قوله: *r9£@ $ÑÎ> ¢Ñ@ ¢Ñ@ Oƒ¿ xW¿ #Œ) 7Ñ@ç¿ [الزخرف:٥٧-٥٨].

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ٢٦٠).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن مقاصد الجدال المذمومة أيضًا: أن يكون المراد به إظهار العلم والفطنة والذكاء، وقوة الحجة، مراءاةً للناس وطلبًا للدنيا، فكل هذه المقاصد تفسد ثواب المجادلة، وتبطل أجرها ولو كانت في حق؛ لأنها لم يرد بها وجه الله تعالى، وإنما أريد بها حظ النفس[١].

٥) ألا تكون هذه المناظرة سببًا لظهور المخالفين، وفتحًا للباب لهم ليتطاولوا على السنة وأهلها.

يقول الإمام اللالكائي مبينًا ما جنته مناظرة المخالفين من جناية على المسلمين، مقارنًا بين حال المخالفين في عصر السلف الأول وما كانوا عليه من ذل وهوان، وبين حالهم بعد فتح باب المناظرات معهم عند بعض المتأخرين، وما أصبح لهم بسبب ذلك من صيت وجاه حتى أصبحوا أقرانًا لأهل السنة في نظر العامة يقول / :

«**فما جنى على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة، يموتون من الغيظ كمدًا ودردًا، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلًا، حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقًا، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلًا، حتى كثرت بينهم المشاجرة، وظهرت دعوتهم بالمناظرة، وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة، حتى تقابلت الشبه في الحجج، وبلغوا**

(١) موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع (٢/ ٦٠٥-٦٠٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من التدقيق في اللجج، فصاروا أقرانًا وأخدانًا، وعلى المداهنة خلانًا وإخوانًا، بعد أن كانوا في الله أعداءً وأضدادًا، وفي الهجرة في الله أعوانًا، يكفرونهم في وجوههم عيانًا، ويلعنونهم جهارًا، وشتان ما بين المنزلتين، وهيهات ما بين المقامين»[١].

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٩-٢٠).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الرابع

تكفير المخالفين لأهل السنة والجماعة

- التكفير العام لا يلزم منه تكفير المعين، والتبديع العام لا يلزم منه تبديع المعين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تكفير المخالفين لأهل السنة والجماعة

القول في تكفير المخالفين لأهل السنة والجماعة على اختلاف مراتب بدعتهم أو عدم تكفيرهم، أمر لم تخلُ منه كتب ومصنفات السلف رحمهم الله تعالى؛ لأهمية الأمر وعظمه وخطورته، فهو متعلق بديانة مسلم، والله يقول:

ó¢$ s$#š ß •ã šc qãGù? $Ý¡sß Ms ó9 N»=¡ 9$Ñà6 ë$ #+ è ôJ9 (qä ã? Ÿwr* &$‹R‰9$ [النساء:٩٤]، ومن أجمع ما رأيت كلام شيخ الإسلام ابن تيمية / حيث يقول: «وهذا يبنى على أصل آخر: وهو تكفير أهل البدع، فمن أخرج الجهمية منهم لم يكفرهم، فإنه لا يكفر سائر أهل البدع؛ بل يجعلهم من أهل الوعيد بمنزلة الفساق والعصاة، ويجعل قوله: (هم في النار) مثل ما جاء في سائر الذنوب، مثل أكل مال اليتيم وغيره، كما قال تعالى: * bÎ) ûïÏ%©!$ tbqè=à2 ù'tƒ ºAºuqøBr& 4J»yGuŠø9$ $¸Jù=àß $yJ¯RÎ) šcqè=à2 ù'tƒ Îû öNÎgÏRqäÜç/ #Y$tR & [النساء:١٠].

ومن أدخلهم فيهم فهم على قولين: منهم من يكفرهم كلهم، وهذا إنما قاله بعض المستأخرين المنتسبين إلى الأئمة أو المتكلمين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأما السلف والأئمة فلم يتنازعوا في عدم تكفير المرجئة والشيعة المفضلة ونحو ذلك، ولم تختلف نصوص أحمد في أنه لا يكفر هؤلاء، وإن كان من أصحابه من حكى في تكفير جميع أهل البدع -من هؤلاء وغيرهم- خلافًا عنه أو في مذهبه، حتى أطلق بعضهم تخليد هؤلاء وغيرهم، وهذا غلط على مذهبه وعلى الشريعة.

ومنهم من لم يكفر أحدًا من هؤلاء، إلحاقًا لأهل البدع بأهل المعاصي، قالوا: فكما أن من أصول أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون أحدًا بذنب، فكذلك لا يكفرون أحدًا ببدعة.

والمأثور عن السلف والأئمة إطلاق أقوال بتكفير الجهمية المحضة الذين ينكرون الصفات، وحقيقة قولهم أن الله لا يتكلم ولا يرى ولا يباين الخلق، ولا له علم ولا قدرة ولا سمع ولا بصر ولا حياة؛ بل القرآن مخلوق، وأهل الجنة لا يرونه كما لا يراه أهل النار، وأمثال هذه المقالات.

وأما الخوارج والروافض ففي تكفيرهم نزاع وتردد عن أحمد وغيره.

وأما القدرية الذين ينفون الكتابة والعلم فكفروهم، ولم يكفروا من أثبت العلم ولم يثبت خلق الأفعال»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥١-٣٥٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلا أن إطلاق التكفير على هذه الأصناف من المخالفين ينبغي أن يراعى فيه عدة أمور، من ذلك ما ذكره شيخ الإسلام / خاتمًا وملخصًا هذه المسألة التي أشكلت على كثير من الناس، إذ يقول:

«وفصل الخطاب في هذا الباب بذكر أصلين: أحدهما: أن يعلم أن الكافر في نفس الأمر من أهل الصلاة لا يكون إلا منافقًا، فإن الله منذ بعث محمدًا وأنزل عليه القرآن وهاجر إلى المدينة صار الناس ثلاثة أصناف: مؤمن به، وكافر به مظهر الكفر، ومنافق مستخف بالكفر...

وإذا كان كذلك فأهل البدع فيهم المنافق الزنديق، فهذا كافر، ويكثر مثل هذا في الرافضة والجهمية؛ فإن رؤساءهم كانوا منافقين زنادقة، وأول من ابتدع الرفض كان منافقًا، وكذلك التجهم فإن أصله زندقة ونفاق، ولهذا كان الزنادقة المنافقون من القرامطة الباطنية المتفلسفة وأمثالهم يميلون إلى الرافضة والجهمية لقربهم منهم.

ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطنًا وظاهرًا، لكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة، فهذا ليس بكافر ولا منافق، ثم قد يكون منه عدوان وظلم يكون به فاسقًا أو عاصيًا، وقد يكون مخطئًا متأولًا مغفورًا له خطؤه، وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى ما يكون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، فهذا أحد الأصلين.

والأصل الثاني: أن المقالة تكون كفرًا؛ كجحد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتحليل الزنا والخمر والميسر، ونكاح ذوات المحارم، ثم القائل بها قد يكون بحيث لم يبلغه الخطاب، وكذا لا يكفر به جاحده، كمن هو حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه شرائع الإسلام، فهذا لا يحكم بكفره بجحد شيء مما أنزل على الرسول إذا لم يعلم أنه أنزل على الرسول...»[(١)].

فيجب التفريق بين الكفر والكافر.. فليس كل من تلبس بالكفر وقع الكفر عليه، وكذا ليس كل من وقع في البدعة وقعت البدعة عليه. فالتكفير العام لا يلزم منه تكفير المعين، والتبديع العام لا يلزم منه تبديع المعين، قال شيخ الإسلام / :

$وحقيقة الأمر في ذلك: أن القول قد يكون كفرًا، فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال: من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها#[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٢-٣٥٤).

(٢) المصدر السابق (٢٣/ ٣٤٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويجمع لنا شيخ الإسلام ابن تيمية / ضوابط عدم الحكم بتكفير المتأول في الدين من المخالفين فيقول:

«فمن كان قد آمن بالله ورسوله، ولم يعلم بعض ما جاء به الرسول، فلم يؤمن به تفصيلًا، إما أنه لم يسمعه، أو سمعه من طريق لا يجب التصديق بها، أو اعتقد معنى آخر لنوع من التأويل الذي يعذر به، فهذا قد جعل فيه من الإيمان بالله وبرسوله ما يوجب أن يثيبه الله عليه، وما لم يؤمن به فلم تقم عليه به الحجة التي يكفر مخالفها»[1].

* **وأما المجتهد المخطئ** فلأهل السنة طريقة في التعامل معه تختلف عن طريقة تعاملهم مع من استبان أنه من أهل الأهواء، يقول شيخ الإسلام في بيان منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع المخطئ المجتهد:

«ولم يقل أحد من السلف والصحابة والتابعين أن المجتهد الذي استفرغ وسعه في طلب الحق يأثم، لا في الأصول ولا في الفروع»[2].

---

(١) المصدر السابق (١٢/ ٤٩٣).

(٢) الفتاوى (١٣/ ١٢٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمنفي هنا الإثم مع اجتهاده، لا إقراره على خطئه.. فتنبه رعاك الله!! إذ إن الحكم بالتأثيم لا بد فيه من التثبت والتيقن، بخلاف التنبيه على الخطأ؛ فإنه يكتفى فيه بصدور الخطأ، ولهذا فرق شيخ الإسلام بين مقام التأثيم والجرح ورد الشهادة، وبين مقام تبيين الخطأ والتحذير منه، فقال / : «ما يجرح به الشاهد وغيره مما يقدح في عدالته ودينه، فإنه يشهد به إذا علمه الشاهد به بالاستفاضة، ويكون ذلك قدحًا شرعيًا، كما صرح بذلك طوائف الفقهاء من المالكية والشافعية والحنبلية، وغيرهم، في كتبهم الكبار والصغار، صرحوا فيما إذا جرح الرجل جرحًا مفسدًا أنه يجرحه الجارح بما سمعه منه، أو رآه، واستفاض، وما أعلم في هذا نزاعًا بين الناس... هذا إذا كان المقصود تفسيقه لرد شهادته وولايته.

وأما إذا كان المقصود التحذير منه واتقاء شره فيكتفى بما دون ذلك، كما قال عبد الله بن مسعود: (اعتبروا الناس بأخدانهم)، وبلغ عمر بن الخطاب ﷺ أن رجلًا يجتمع إليه الأحداث فنهى عن مجالسته، فإذا كان الرجل مخالطًا في السير لأهل الشر يحذر عنه»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/٤١٣-٤١٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأيضًا مما ينبغي التنبه له في هذا المقام: أنه يجب التفريق بين العامي من أهل البدع الذي تلقى البدعة ممن نظرها له وسكبها في رأسه، وجعل لها مكانًا في عقله، وبين ذاك المُجادل عن البدعة والداعي إليها بشبهاته وتقريراته..

يقول الإمام الشاطبي / :

«إن لفظ (أهل الأهواء) وعبارة (أهل البدع) إنما تطلق حقيقة على الذين ابتدعوها، وقدموا فيها شريعة الهوى؛ بالاستنباط، والنصر لها، والاستدلال على صحتها في زعمهم، حتى عد خلافهم خلافًا، وشبههم منظورًا فيها، ومحتاجًا إلى ردها والجواب عنها...

بخلاف العوام، فإنهم متبعون لما تقرر عند علمائهم؛ لأنه فرضهم، فليسوا بمتبعين للمتشابه حقيقة، ولا هم متبعون للهوى، وإنما يتبعون ما يقال لهم كائنًا ما كان، فلا يطلق على العوام لفظ أهل الأهواء حتى يخوضوا بأنظارهم فيها، ويحسنوا بنظرهم ويقبحوا...»[1].

ويقول الغزالي / : «الثالث: المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة

---

(١) الاعتصام (١/ ٢١٢-٢١٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا يخاف الاقتداء به، فأمره أهون، فالأولى أن لا يقابل بالتغليظ والإهانة، بل يتلطف به في النصح، فإن قلوب العوام سريعة التقلب، فإن لم ينفع النصح وكان في الإعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تأكد الاستحباب في الإعراض، وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالإعراض أولى؛ لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها...» إلخ[1].

ويقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب / ذابًا عن دعوته النقية، ورادًا كذب من حاول تشويهها بالزور والبهتان:

«وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر، ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه؛ فكل هذا من الكذب والبهتان، الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله.

وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر؛ والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما؛ لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاتل؟! سبحانك هذا

---

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ١٦٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بهتان عظيم!!» إلخ[١].

بل ويقرر شيخ الإسلام ابن تيمية / أنه قد يأتي من أفراد المخالفين ما يكون له اعتبار في نفسه في الجملة، فيشهد لهم بهذا الخير، ويعترف لهم بهذا الفضل، يقول شيخ الإسلام / :

«وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم إلى بلاد الكفار، فأسلم على يديه خلق كثير، وانتفعوا بذلك، وصاروا مسلمين مبتدعين، وهو خير من أن يكونوا كفارًا»[٢].

ونختم هذا الفصل بتقسيم بديع للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله يبين فيه أقسام المخالفين في بعض أصول أهل الإسلام، يقول رحمه الله: «**فأما أهل البدع الموافقون لأهل الإسلام، ولكنهم مخالفون في بعض الأصول- كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم- فهؤلاء أقسام:**

أحدها: الجاهل المقلد الذي لا بصيرة له، فهذا لا يكفر ولا يفسق، ولا ترد شهادته، إذا لم يكن قادرًا على تعلم الهدى، وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون

---

(١) الدرر السنية من الأجوبة النجدية (١/ ١٠٤).

(٢) الفتاوى (١٣/ ٩٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبيلًا، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم، وكان الله عفوا غفورًا.

القسم الثاني: المتمكن من السؤال وطلب الهداية، ومعرفة الحق، ولكن يترك ذلك اشتغالًا بدنياه ورياسته، ولذته ومعاشه وغير ذلك، فهذا مفرط مستحق للوعيد، آثم بترك ما وجب عليه من تقوى الله بحسب استطاعته، فهذا حكمه حكم أمثاله من تاركي بعض الواجبات، فإن غلب ما فيه من البدعة والهوى على ما فيه من السنة والهدى ردت شهادته، وإن غلب ما فيه من السنة والهدى قبلت شهادته.

القسم الثالث: أن يسأل ويطلب، ويتبين له الهدى، ويتركه تقليدًا وتعصبًا، أو بغضًا أو معاداةً لأصحابه، فهذا أقل درجاته أن يكون فاسقًا، وتكفيره محل اجتهاد وتفصيل. فإن كان معلنًا داعيةً ردت شهادته وفتاويه وأحكامه، مع القدرة على ذلك، ولم تقبل له شهادة، ولا فتوى ولا حكم إلا عند الضرورة، كحال غلبة هؤلاء واستيلائهم، وكون القضاة والمفتين والشهود منهم، ففي رد شهادتهم وأحكامهم إذ ذاك فساد كثير، ولا يمكن ذلك، فتقبل للضرورة»[1].

---

(١) الطرق الحكمية (٢٥٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الخامس
توبة المخالفين لأهل السنة والجماعة

- قال ابن تيمية / : «الذي عليه السلف والأئمة، كالأئمة الأربعة وغيرهم أن توبة الرافضي تقبل كما تقبل توبة أمثاله من أهل البدع والمعاصي».
- توبة أهل البدع وغيرهم صحيحة مهما بلغت بدعهم وكبرت، فمتى ما توافرت فيها الشروط الداعية لقبولها وكانت صادقة؛ فإنها مقبولة عند الله تعالى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توبة المخالفين لأهل السنة والجماعة

لاشك أن الله يقبل التوبة من عباده ما دام المرء في زمن المهلة، قال الله تعالى: ﴿ Ï M»%‰ ¢Á 9$ ä ę (r ¾ ï Ï $ 7 ã ô ã p/ (9$ @ 7 ø f qè) $ b & (ê è f Ô % * ﴾ [التوبة:١٠٤].

وقال جل وعلا: ﴿ ` Ï B (Z ø? ŵ (Å R& #? ã (ó & (ï ¾ $ " Ï $ 7 é » f @ è* ﴾ [الزمر:٥٣].

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره:

«هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر»(١).

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ^ أنه قال: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)(٢).

والمخالفون ما زالوا يتوبون ويؤوبون ويرجعون إلى الله تعالى وتحسن

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٥).

(٢) الترمذي (٥/ ٥٤٧)(٣٥٣٧)، ابن ماجة (٢/ ١٤٢٠)(٤٢٥٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توبتهم، وقبل ذكر نماذج من توبة بعض من كان على غير السنة أود التنبيه على أمور مهمة:

الأول: رُوي حديث مفاده: (إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة)[١].

إلا أن هذه الرواية ينازعها أمران:

١- أن بعض أهل الحديث طعن في رجال سندها، ومن ذلك ابن الجوزي في كتابه العلل المتناهية[٢].

٢- أن هناك زيادة مهمة جاءت عند الطبراني صححها العلامة الألباني[٣] / في صحيح الترغيب والترهيب: (إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته).

وأيضًا قد أجاب أهل العلم عن هذا الإشكال الوارد في هذا الحديث من كون التوبة محجوبة عن أهل البدع بأجوبة، منها:

١) أن هذا الحديث من نصوص الوعيد التي لا تفسر عند أهل السنة لتبقى هيبة الزجر عن الابتداع، ومذهب أهل السنة أن كل ما توعد

---

(١) الطبراني في الأوسط (٤/٢٨١)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/٣٧٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٠٨): (رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي، وهو ثقة).

(٢) انظر: العلل المتناهية (١/١٤٥-١٤٦).

(٣) صحيح الترغيب والترهيب (١/١٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله به العبد من العقاب فهو بشرط ألا يتوب، فإن تاب تاب الله عليه[١].

٢) أن أهل البدع على قسمين: منهم من يشرب البدعة وتخالط هواه، كما في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود من حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ قال: قال رسول الله ^ : (...**إنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَبَ بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله**)[٢]، **فهؤلاء هم الذين تحجب عنهم التوبة، بمعنى: أنه قلما يرجع عن هذه البدعة.**

قال الشاطبي / : «معنى هذه الرواية: أنه عليه الصلاة والسلام أخبر بما سيكون في أمته من هذه الأهواء التي افترقوا فيها إلى تلك الفرق، وأنه يكون فيهم أقوام تداخل تلك الأهواء قلوبهم، حتى لا يمكن في العادة انفصالها عنها وتوبتهم منها،على حد ما يداخل داء الكَلَب جسم صاحبه، فلا يبقى من ذلك الجسم جزء من أجزائه ولا عرق ولا مفصل ولا غيرهما إلا دخله ذلك الداء، وهو جريان لا يقبل العلاج، ولا ينفع فيه الدواء، **فكذلك صاحب الهوى؛ إذا دخل قلبه، وأشرب حبه، لا تعمل فيه الموعظة، ولا يقبل البرهان، ولا يكترث بمن خالفه.**

واعتبر ذلك بالمتقدمين من أهل الأهواء كمعبد الجهني، وعمرو بن

---

(١) انظر: حقيقة البدعة للغامدي (٢/ ٣٩٣).

(٢) مسند أحمد (٤/ ١٠٢)(١٦٩٧٩)، أبو داود (٢/ ٦٠٨)(٤٥٩٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عبيد وسواهما؛ فإنهم كانوا -حيث لقوا- مطرودين من كل جهة، محجوبين عن كل لسان، مبعدين عند كل مسلم، ثم مع ذلك لم يزدادوا إلا تماديًا على ضلالهم، ومداومة على ما هم عليه: *Br` ¤ ª¡ ¼ ¾ ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « ©¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ ¡ ~ } | { z y x w v u t s r q p o n m l k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V U T S R Q P O N M L K J I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , +) (' & % $ # " ! [المائدة: ٤١]»[(١).

وأما القسم الثاني فلا يكون كذلك، فهذا تكون توبته قريبة[(٢).

٣) أن المبتدع يرى أن بدعته هذه دين، ويحسب أنه على هدى، ويظن أن رجوعه عن هذه البدعة هو رجوع عن الحق والدين، ولهذا قل أن يتوب منها، بخلاف صاحب المعصية الذي يعلم أنه على خطأ ومعصية، وأن فعله هذا مخالف للدين، فرجوعه وتوبته أقرب.

الثاني: أن توبة المخالف مقبولة سواء كان هذا المخالف رافضيًا أو جهميًا أو قدرياً... إلخ.

أو كان هذا المخالف داعية أو منظرًا أو مجتهدًا أو مستدلًا... إلخ، فكل هذه الأصناف تقبل توبتهم على الصحيح، ولا يفرق بين مخالف وآخر.

قال شيخ الإسلام / : «**...وأما جنس الذنب فإن الله يغفره في الجملة، الكفر والشرك وغيرهما، يغفرها لمن تاب منها، ليس في الوجود**

---

(١) الاعتصام (٢/ ٧٨-٧٧٩).

(٢) انظر: الاعتصام (٢/ ٧٨٢-٧٨٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذنب لا يغفره الرب تعالى؛ بل ما من ذنب إلا والله تعالى يغفره في الجملة.

وهذه آية عظيمة جامعة من أعظم الآيات نفعًا، وفيها رد على طوائف، رد على من يقول: إن الداعى إلى البدعة لا تقبل توبته، ويحتجون بحديث إسرائيلي فيه: (أنه قيل لذلك الداعية: فكيف بمن أضللت؟) وهذا يقوله طائفة ممن ينتسب إلى السنة والحديث وليسوا من العلماء بذلك؛ كأبي علي الأهوازي وأمثاله ممن لا يميزون بين الأحاديث الصحيحة والموضوعة، وما يحتج به وما لا يحتج به؛ بل يروون كل ما في الباب محتجين به، وقد حكى هذا طائفة قولًا في مذهب أحمد أو رواية عنه، **وظاهر مذهبه مع مذاهب سائر أئمة المسلمين أنه تقبل توبته كما تقبل توبة الداعي إلى الكفر، وتوبة من فتن الناس عن دينهم، وقد تاب قادة الأحزاب: مثل أبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم، بعد أن قتل على الكفر بدعائهم من قتل، وكانوا من أحسن الناس إسلامًا وغفر الله لهم، قال تعالى:** * @ ` 2 bî & # = ™ % $B O [الأنفال:٣٨]، **وعمرو بن العاص كان من أعظم الدعاة إلى الكفر والإيذاء للمسلمين، وقد قال له النبي ^ لما أسلم: (يا عمرو! أما علمت أن الإسلام يجب ما كان قبله؟)... » إلخ**[1].

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٣-٢٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال / : «...وقولهم: إن توبة ساب الصحابة لا تقبل، وأنه مخلد في النار خطأ؛ بل الذي عليه السلف والأئمة، كالأئمة الأربعة وغيرهم أن توبة الرافضي تقبل كما تقبل توبة أمثاله»اهـ(١).

- بل قد قال أهل العلم المحققين بقبول توبة من تكررت ردته وظهرت زندقته إذا تاب إلى الله وأعلن صدق توبته.

قال شيخ الإسلام / : «...والفقهاء إذا تنازعوا في قبول توبة من تكررت ردته أو قبول توبة الزنديق فذاك إنما هو في الحكم الظاهر؛ لأنه لا يوثق بتوبته، أما إذا قدر أنه أخلص التوبة لله في الباطن فإنه يدخل في قوله: ©$bî «ì$Ïþ#q§ `Ï fqëÏZø? ÿw ùûÅã¡R& #?ã fqëó& ûïÿ‰Ø$ “ ß$7è»ƒ* : ©$bî ùG<Î™ fq•Üù oq4Ÿ2 "9$fq?#är oq4ÁA 9$fqß$‰r fqÇ? bîù ‰ ¹ éD @à2 [الزمر:٥٣]...» إلخ(٢).

فإذا كانت التوبة مقبولة ممن أشرك في الدعاء، وارتكب كبائر الذنوب؛ فإنها تقبل من المخالف، بل إن الآيات القرآنية أوضحت أن باب التوبة مفتوح للكفار والمشركين، كقوله تعالى: ëæè F$ ‡=¡$#Œîù * ùG9 fr‰ãæè$ ùèrÇÇô¹$ ôèräär ôèqß3‰`r ß¡øm ûüÏÎß3 ß8$fqèÿ¨$ ãèqÇ$ ©$bî ùG<Î™ fq•Üù oq4Ÿ2 "9$fq?#är oq4ÁA 9$fqß$‰r fqÇ? bîù ‰ ¹ éD @à2 [التوبة:٥].

(١) المصدر السابق (٤/ ٥٤١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٠).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكقوله Q: ‹wî »9î ôÏ $Br ¡7W»=0 ß¸ Ï$0 ©$žc Î ¢(þ¤% ûïÏ%$•ÿÝ2 ¥)©* :ÒGÏB ¢rëÿ. šú ï%$£¡¡ J‹9 šc qèuà f $Ã ã ¢qßG^f Ô© bÎr ¥Ôïn°r »9î Ò‹ïn§ Ôqßî ª! $ ¼çRrëÿóGó„r ‹¢ $ † ‹Î šc qçÇçf Ýx ù& ÇÌÈ Ô$Ï& ëU #‹ã & ÇÍÈ [المائدة:٧٣-٧٤].

فهذه أدلة تفيد إمكانية توبة المخالف وقبولها، وأن التائب الصادق يغفر الله له ذنبه ويعفو عنه.

الثالث: توبة المخالف الداعي إلى البدعة:

تقدم أن مذهب بعض العلماء بأن الداعي إلى البدعة لا توبة له[1].

لكن الصحيح والراجح هو أنه يمكن حصول توبة الداعي إلى بدعة وقبولها، فإن الله قد بين في كتابه أنه يتوب على أئمة الكفر الذين هم أعظم من أئمة البدع، فقد تاب الله على أبي سفيان بن حرب ﷺ، والحارث بن هشام ﷺ، وسهيل بن عمرو ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «.. وأيضًا فالداعي إلى الكفر والبدعة كان أصدّ من غيره، فذلك الغير يعاقب على ذنبه لكونه قبل من هذا واتبعه، وهذا عليه وزره، ووزر من اتبعه إلى يوم القيامة، مع بقاء أوزار أولئك عليهم، فإذا تاب من ذنبه لم يبق عليه وزره ولا ما حمله هو لأجل إضلالهم..»[2].

---

(1) انظر (ص:٩٧) من هذا الكتاب.

(2) مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٣-٢٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فظهر بحمد الله جليًا صحة توبة المخالفين لأهل السنة والجماعة وغيرهم في الباطن من زنادقة وغيرهم مهما بلغت بدعهم وكبرت، وأن توبتهم متى ما توافرت فيها الشروط الداعية لقبولها وكانت صادقة فإنها مقبولة عند الله تعالى.

الرابع: نماذج من توبة المخالفين لأهل السنة والجماعة:

من طالع بعض كتب أهل العلم في التاريخ والتراجم وقف على قصص ونوادر في توبة المخالفين، وتركهم بدعهم ورجوعهم إلى السنة وجادة الطريق ولو في الجملة، وأسوق هنا بعض ذلك مثالًا فقط على حدوث ذلك وإمكانه، ولله الأمر من قبل ومن بعد وهو الغفور الرحيم.

١) توبة أربعة آلاف من الخوارج بعد أن ناظرهم ابن عباس رضي الله عنه، مع أن الخوارج من أصحاب البدع الغليظة، وقد ورد فيهم من الأحاديث ما لم يرد في غيرهم من الفرق، فهم كلاب النار، وهم الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وهم الذين أمر النبي ^ بقتالهم، وبشر من قاتلهم أو قاتلوه بالجنة، **ومع كل هذا فقد تاب منهم هذا الجم الغفير، وكانوا قبل ذلك على ضلالة يقاتلون عنها**، ولم يقل أحد من الصحابة إن توبتهم غير مقبولة، أو إن التوبة محجورة عنهم.

٢) توبة صبيغ بن عسل التميمي العراقي: فقد روى الدارمي[(١)]:

(١) سنن الدارمي (١/ ٦٧)(١٤٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(أن صبيغًا جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر؛ فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟ فقال: في الرحل، قال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني العقوبة الموجعة، فأتاه به، فقال عمر: تسأل محدثة، فأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره وبرة، ثم تركه حتى برئ، ثم عاد له، ثم تركه حتى برئ، فدعا به ليعود له، قال: فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلًا جميلًا، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت؛ فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: ألا يجالسه أحد من المسلمين، فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر **أن قد حسنت توبته، فكتب عمر أن يأذن للناس لمجالسته**).

٣) توبة يزيد بن صهيب الفقير وأصحابه ورجوعهم عن رأي الخوارج: روى ذلك مسلم في صحيحه[١].

٤) توبة نعيم بن حماد: فيما رواه الذهبي في سير أعلام النبلاء: أن نعيمًا كان يقول: «**أنا كنت جهميًا، فلذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث عرفت أن أمرهم يرجع إلى التعطيل**» **ولهذا وصف بأنه من أشد الناس على الجهمية، ووضع في الرد عليهم ثلاثة عشر كتابًا**»[٢].

---

(١) انظر: مسلم (١/ ١٧٧)(١٩١).

(٢) السير (١٠/ ٥٩٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥) توبة عون بن عبد الله: وقع في الإرجاء بعد أن ناظره ناس منهم، ثم رجع عن الإرجاء وقال فيه:

لأول ما نفارق غير شك نفارق ما يقول المرجئونا[١]

٦) توبة موسى بن حزام: قال ابن حجر / : «...وذكره ابن حبان في الثقات وقال: **كان في أول أمره ينتحل الإرجاء، ثم أعانه الله تعالى بأحمد بن حنبل فانتحل السنة وذب عنها، وقمع من خالفها مع لزوم الدين حتى مات**»[٢].

٧) توبة الواثق بالله وابنه المهتدي بالله[٣].

٨) **توبة أبي الحسن الأشعري: قال الذهبي: $وكان عجبًا في الذكاء وقوة الفهم، ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه، وتبرأ منه، وصعد للناس فتاب إلى الله منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة ويهتك عوارهم**»[٤].

ومن العلماء من أفنى عمره في الكلام والفلسفة والمذاهب السفسطائية، ولكنه تداركه الله برحمة منه فألهمه التوبة ووفقه لها قبيل موته، معلنًا أن كتاب الله وسنة رسوله خير له من غيرهما.

---

(١) تهذيب التهذيب (٨/ ١٧٢).
(٢) تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٤١).
(٣) انظر: كتاب التوابين لابن قدامة (ص: ١٩٤-١٩٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٦) وانظر (١٥/ ٨٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٩) فهذا أبو المعالي الجويني[١] يعلن أن ما كان عليه ضلال ووبال، فقد جاء في شذرات الذهب: $...ومن شعر أبي المعالي:

نهاية إقدام العقول عقال وغاية آراء الرجال ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وغاية دنيانا أذى ووبال»[٢]

وقال ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية:

١٠) «**وكذلك الغزالي / انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق، وأقبل على أحاديث الرسول، فمات والبخاري على صدره.**

١١) وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، قال في كتابه الذي صنفه في أقسام اللذات:

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ودولة فبادوا جميعًا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال

---

(١) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، من فقهاء الشافعية، ومن رؤوس المتكلمين، توفي سنة (٤٧٨)هـ.
(٢) شذرات الذهب (٣/٣٥٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: * & Ü hÖ%$Ð î3ø$R èÁ ƒ ïø) * .. [ط:٥] & ÇÎÈ 3 qÇÖ'$Ä ÖèøS '?ã ß»Hq$$ **[فاطر:١٠]، وأقرأ في النفي:** * Ö† « ¾ïî#Ü . § ø & [الشورى:١١].. * **[سورة طه]، ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.** & ÇÈ $Vtã ¾ï7 šc qÈ‹ïã Ÿr

١٢) وكذلك قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرساني: إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، حيث قال:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعًا كف حائر على ذقن أو قارعًا سن نادم[1]

وكذلك قال أبو المعالي الجويني: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به، وقال عند موته: **لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وهاأنذا أموت على عقيدة أمي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور.**

(1) وانظر جواب الإمام ابن الأمير الصنعاني عليه كما في الدرر السنية (١/١٥٩) الهامش.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٣) وكذلك قال شمس الدين الخسروشاهي - وكان من أجل تلامذة فخر الدين الرازي - لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يومًا فقال: **ما تعتقد؟ قال: ما يعتقده المسلمون، فقال: وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به؟ أو كما قال، فقال: نعم. فقال: اشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى أخضل لحيته...»**[1].

*** كما أنه أعلن توبته وهدايته كوكبة من علماء الإمامية في العصر الحاضر، فتمسكوا بالسنة جملة وحاربوا البدع وذموها، ودافعوا عن السنة ونصروها.. ومنهم:**

آية الله العظمى (كما يسمونه) أبو الفضل البرقعي المتوفى عام (١٤١٢هـ)، الذي كتب كتابه (كسر الصنم) في هدم أكبر كتب أهل مذهبه وتقويض أساسه، وله كتب ومقالات ورسائل كثيرة تدعو إلى السنة والتمسك بها، وتنفر من البدعة والشرك.

ومنهم: أحمد الكسروي، الذي ألف كتابه (الشيعة والتشيع) دافع فيه عن الإسلام الحق ومنهج آل البيت، وأن عقائد الشيعة منهما براء، فدفع حياته ثمنًا لذلك فاغتيل عام (١٩٤٦م) في طهران / .

ومنهم: محمد الياسري، الذي كتب كتبًا كثيرة ورسائل عديدة في

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/٣١٦-٣١٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التوحيد الحق الخالص من البدع والشركيات، فكانت حياته مقابل رفضه للشرك والبدعة وإعلانه التوحيد والسنة، فقتل أثناء رجوعه من صلاة الفجر عام (١٩٩٧م).

ومنهم كذلك: آية الله العظمى (كما يسمونه) إسماعيل آل إسحاق (علامة خوئيني) الذي تعرض لابتلاءات كثيرة بسبب رفضه للغلو والخرافة، وتمسكه بالكتاب والسنة، فسجن وأهين، ولم يتوقف / عن التأليف ونشاطه في الدعوة إلى الله إلى يوم وفاته التاسع من رجب عام (١٤٢١هـ) عن عمر ناهز ثلاثًا وستين سنة(*).

كل هؤلاء قادهم البحث إلى الحق والتمسك به، ورد الباطل وذمه والتحذير منه.. وكما قال تعالى: *ÎR7 w÷ ö‰" Bô &nô7öM| r9Å£$©ö ‰" B` „±$t± ÇÍÈ rÏdq ã&Î=e ß#û øG¨3ö F‰ì ú š ÈÎÌÇ& [القصص:٥٦].

وإني لو راجعت كل ما كُتب حول وقوع توبة من كان على بدعة أو غير هدى لطال بي الحال، وأكتفي بهذا لعله يكون مثالًا على غيره. والله المستعان.

(*) انظر: رسالة الماجستير للشيخ (خالد البديوي) بعنوان: (التحولات العقدية المحمودة في صفوف الإمامية في القرن الأخير) جامعة الملك سعود، قسم الثقافة الإسلامية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل السادس
فتاوى بعض أهل العلم في دعوة المخالفين

قال الإمام ابن باز / : «نوصي إخواننا جميعًا بالدعوة إلى الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن؛ أمر الله سبحانه بذلك مع جميع الناس ومع المبتدعة إذا أظهروا بدعتهم، وأن ينكروا عليهم، سواء كانوا من الشيعة أو غيرهم».

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتاوى لبعض أهل العلم
فيها الحث على دعوة المخالف لأهل السنة والجماعة

لاشك أن العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهم أحرص الناس على هداية الخلق إلى عبادة الله الواحد الأحد سبحانه، ونبذ الشرك وأهله، ومن تأمل كتاب الله تبين له هذا.

وسأذكر هنا فقط نماذج لما وقفت عليه من فتاوى لبعض أهل العلم ذوي البصيرة والفهم، يلمس فيها الداعية حرص هؤلاء العلماء على دعوة كل أحد إلى السنة والهداية والرشاد؛ سواء المسلم أو الكافر، السني أو المخالف، الموحد أو المشرك.

وسأترك القلم لهذه النماذج لعلها تفتح آفاقًا من الفهم والإدراك عند بعض الناس، والله المستعان..

*** من فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء:**

الفتوى الأولى: جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء السؤال الأول من الفتوى رقم (٤٢٩٩):

س: أنا أعيش في قرية أغلب سكانها مسلمون، ولكنهم يدعون غير الله عند نزول المصيبة والنازلة، وإن هؤلاء القوم يدعون ويعتقدون أن الأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين هم المقربون إلى الله، ونحن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عصاة، فبذلك لسنا مؤهلين ولا مستحقين أن نسأل الله بلا وسيلة إليه من الأولياء أو الشهداء أو الصالحين، وهؤلاء القوم يدعون أن الأولياء يقربوننا إلى الله، وهم يسمعون دعاءنا بعد موتهم، فيشفعون لنا عند الله...

ج: من كان واقعه ما وصفت لا تجوز الصلاة خلفه ولا تصح لو فعلت؛ لأن أعماله شركية تخرجه من ملة الإسلام، ولا تؤكل ذبيحته؛ لأنه مشرك؛ لما ورد في ذلك من الأدلة الشرعية، ونسأل الله أن يثبتك على الحق، وأن يهديهم على يديك حتى يكون لك مثل أجورهم، **ونوصيك بالاستمرار في دعوتهم إلى الله، وإرشادهم إلى الحق بالوسائل الحسنة والأسلوب المؤثر الرقيق، والصبر على أذاهم، عملًا بقول ربنا Q**: *äš‘$ &ß¡ôn‰ ‘ÏdÓÉ‘$ OßγŠ_r ÞZ¡tø‘$ÞàÃöqJø‘$ ÞJÎötø‘$ 7ÎtÏ Ïè‹Ï™ 4‹ o4ÓÁ9$ÉÏ‰ Ó0ßϑƒ* [النحل:١٢٥]، **وقوله سبحانه عن لقمان أنه قال لابنه**: *Ç=ãôÏB 7Ï‘É ÞÎ) 7/$¹‰ $B 4?ã ÆÏG$ Ì3ZÏ‘$Çã mÏ‘$ Ás rèJø‘$ ÉÏ‘ &ÇÏÈÍqÃV‘$ [لقمان:١٧]، **وما جاء في معنى ذلك من الآيات والأحاديث.**

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الفتوى الثانية: وجاء في الفتوى رقم (٨٣٠٨) من فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء:

س: نفيدكم أنه يعيش كثير من إخواننا المسلمين أهل السنة على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ساحل فارس، ويريدون أداء فريضة الحج، ولكنهم لا يستطيعون السفر مع أهل إيران؛ لكونهم من الشيعة، تحسبًا لما ينجم من مشاكل معهم في الطريق، وكذلك لا تسمح لهم حكومات الدول العربية المتاخمة لهم بالسفر من منافذها، فهل يجوز لهم أن يرسلوا نفقات حجهم إلى أقارب لهم بدولة أخرى ليحجوا عنهم؟.

ج: الواجب عليهم أن يحجوا ولو مع الشيعة إذا كانوا مستطيعين للحج، وعليهم مع ذلك الحذر من شبهات الشيعة ومذهبهم الباطل، **وإن تمكنوا أن ينصحوهم ويدعوهم إلى اعتناق مذهب أهل السنة وجب عليهم ذلك؛ لقول الله سبحانه:** *ïàÏöJ¾ïJ¾ïÏ 7ÎÏ È<Î™ 4<Î ÄŠš* &ß¡ôÏ ‘Ï ÓÉŠÏ OŠ¾Ï_r ïZ¡tØš [النحل:١٢٥]، **وغيرها من الآيات الدالة على وجوب الدعوة إلى الله سبحانه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أصلح الله حال الجميع.**

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الفتوى الثالثة: ورد في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء السؤال الثامن والتاسع من الفتوى رقم (٨٨٩٧) ما نصه:

«**...فالواجب نصيحة هؤلاء الملاحدة ودعوتهم إلى الحق، وتذكيرهم بمغبة كفرهم، وأن مصيرهم النار إن لم يؤمنوا بمحمد رسول الله ^ ويتبعوا ما جاء به، ولكم من الله الأجر العظيم وحسن العاقبة...**» إلخ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* وتلحظ هنا -وفقني الله وإياك- كيف يوجه هؤلاء العلماء إلى دعوة المخالفين إلى السنة، والدعاء للسائل بأن يهديهم الله على يديه، وتوصيته بالاستمرار بالدعوة، واستخدام الوسائل الحسنة والأسلوب المؤثر الرقيق، والصبر على أذاهم ، في قولهم للسائل: **(نسأل الله أن يثبتك على الحق، وأن يهديهم على يديك حتى يكون لك مثل أجورهم، ونوصيك بالاستمرار في دعوتهم إلى الله وإرشادهم إلى الحق بالوسائل الحسنة والأسلوب المؤثر الرقيق، والصبر على أذاهم)**، وهذا يبين منهج أهل السنة في دعوة المخالف لهم، ومدى رحمتهم بالناس، وشفقتهم عليهم؛ اتباعاً لمنهج نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، الذي بعث رحمة للناس.

وقولهم كذلك للسائلين: **(وعليهم مع ذلك الحذر من شبهات الشيعة ومذهبهم الباطل، وإن تمكنوا أن ينصحوهم ويدعوهم إلى اعتناق مذهب أهل السنة وجب عليهم ذلك؛ لقول الله سبحانه:** @‹î™ 4‹î ášŠ* & ß¡ôn& ‘d ÓÉŠ OŠ‰_r þZ¡tøS þàÃöJ‰ þJ‰tøŠ 7îr [النحل:١٢٥]**، وغيرها من الآيات الدالة على وجوب الدعوة إلى الله سبحانه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، فيه وجوب دعوة من خالف السنة وأظهر البدعة من الشيعة وغيرهم.**

*** من فتاوى سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز / :**

الفتوى الرابعة: جاء في فتاوى العلامة الفهامة الشيخ ابن باز رحمه الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وغفر له ما يلي:

توضيح عن فرقة الشيعة:

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم... وفقه الله لكل خير آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد:

فقد تلقيت كتابكم الكريم وفهمت ما تضمنه. وأفيدكم بأن الشيعة فرق كثيرة، وكل فرقة لديها أنواع من البدع، وأخطرها فرقة الرافضة الخمينية الإثني عشرية؛ لكثرة الدعاة إليها، ولما فيها من الشرك الأكبر؛ كالاستغاثة بأهل البيت، واعتقاد أنهم يعلمون الغيب ولاسيما الأئمة الاثني عشر حسب زعمهم، ولكونهم يكفرون ويسبون غالب الصحابة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، نسأل الله السلامة مما هم عليه من الباطل.

وهذا لا يمنع دعوتهم إلى الله، وإرشادهم إلى طريق الصواب، وتحذيرهم مما وقعوا فيه من الباطل على ضوء الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة.

وأسأل الله لك ولإخوانك من أهل السنة المزيد من التوفيق لما يرضيه مع الإعانة على كل خير، وأوصيكم بالصبر والصدق والإخلاص، والتثبت في الأمور، والعناية بالحكمة والأسلوب الحسن في ميدان الدعوة...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صدرت الإجابة من مكتب سماحته في (١٤٠٩/١/٢٢هـ) برقم: (١٣٦/١).

الفتوى الخامسة: السؤال: بماذا تنصحون الدعاة حيال موقفهم من المبتدعة؟

الجواب: نوصي إخواننا جميعًا بالدعوة إلى الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن؛ أمر الله سبحانه بذلك مع جميع الناس ومع المبتدعة إذا أظهروا بدعتهم، وأن ينكروا عليهم، سواء كانوا من الشيعة أو غيرهم، فأي بدعة رآها المؤمن وجب عليه إنكارها حسب الطاقة بالطرق الشرعية...

إلى أن قال رحمه الله:

فيجب نصحهم وتوجيههم إلى الخير، وإنكار ما أحدثوا من البدع بالأدلة الشرعية، وتعليمهم ما جهلوا من الحق بالرفق والأسلوب الحسن والأدلة الواضحة، لعلهم يقبلون الحق... إلخ[1].

الفتوى السادسة: قال ابن باز في جواب عن حكم السفر للخارج والإقامة مع العوائل:

«...فالواجب على المسلمين الحذر من السفر إلى بلاد أهل الشرك إلا عند الضرورة القصوى، **إلا إذا كان المسافر ذا علم وبصيرة، ويريد**

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١٨٢/٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدعوة إلى الله والتوجيه إليه، فهذا أمر مستثنى، وهذا فيه خير عظيم؛ لأنه يدعو المشركين إلى توحيد الله ويعلمهم شريعة الله، فهو محسن وبعيد عن الخطر؛ لما عنده من العلم والبصيرة، والله المستعان»[1].

الفتوى السابعة: س: متى تشرع مقاطعة المبتدع؟ ومتى يشرع البغض في الله؟ وهل تشرع المقاطعة في هذا العصر؟

ج: المؤمن ينظر في هذه المقامات بنظر الإيمان والشرع والتجرد من الهوى، فإذا كان هجره للمبتدع وبعده عنه لا يترتب عليه شر أعظم؛ فإن هجره حق، وأقل أحواله أن يكون سنة، وهكذا هجر من أعلن المعاصي وأظهرها أقل أحواله أنه سنة، **أما إن كان عدم الهجر أصلح؛ لأنه يرى أن دعوة هؤلاء المبتدعين وإرشادهم إلى السنة وتعليمهم ما أوجب الله عليهم يؤثر فيهم ويزيدهم هدى، فلا يعجل في الهجر، ولكن يبغضهم في الله كما يبغض الكافر والعصاة، لكن يكون بغضه للكفار أشد، مع دعوتهم إلى الله سبحانه، والحرص على هدايتهم عملًا بجميع الأدلة الشرعية، ويبغض المبتدع على قدر بدعته إن كانت غير مكفرة، والعاصي على قدر معصيته، ويحبه في الله على قدر إسلامه وإيمانه، وبذلك يعلم أن الهجر فيه تفصيل...**

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/ ٣٨١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى أن قال رحمه الله:

فالمؤمن ينظر في الأصلح، وهذا لا ينافي بغض الكافر والمبتدع والعاصي في الله سبحانه، ومحبة المسلم في الله Q، وعليه أن يراعي المصلحة العامة في ذلك، فإن اقتضت الهجر هجر، **وإن اقتضت المصلحة الشرعية الاستمرار في دعوتهم إلى الله Q وعدم هجرهم فعل ذلك، مراعاة لهديه ^** [1].

الفتوى الثامنة: الحكم الشرعي في فتاة شيعية من طائفة البهرة يمنعها المأذون من عقد القران:

جاء في آخر الجواب: «**نصيحتي لك ولأمثالك ترك الانتساب لمذهب البهرة أو غيره من مذاهب الشيعة؛ لكونها مذاهب مخالفة للطريقة المحمدية الإسلامية من وجوه كثيرة، فالواجب تركها والانتقال عنها إلى مذهب أهل السنة والجماعة، السائرين على مقتضى الكتاب والسنة، ومنهج سلف الأمة من أصحاب الرسول ^ وأتباعهم بإحسان، وأسأل الله أن يهدي هذه الطائفة وغيرها من الطوائف المنحرفة عن طريق الصواب، وأن يأخذ بأيديهم إلى طريق الحق، وأن يوفقنا وإياك وسائر المسلمين لما فيه النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر**

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٩/ ٤٢٣-٤٢٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[١].

فهذا العلامة الإمام ابن باز / يقول للسائل:

«...وهذا لا يمنع دعوتهم إلى الله وإرشادهم إلى طريق الصواب، وتحذيرهم مما وقعوا فيه من الباطل على ضوء الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة...»، ويوصيه بالدعوة والإرشاد والصبر والصدق والعناية بالحكمة والأسلوب الحسن في الدعوة.

وهنا يوجه / الدعاة وينصحهم حيال موقفهم من المخالفين، فيقول:

«نوصي إخواننا جميعًا بالدعوة إلى الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن؛ أمر الله سبحانه بذلك مع جميع الناس ومع المبتدعة إذا أظهروا بدعتهم، وأن ينكروا عليهم، سواء كانوا من الشيعة أو غيرهم، فأي بدعة رآها المؤمن وجب عليه إنكارها حسب الطاقة بالطرق الشرعية».

ويقول / ناصحًا ومحذرًا من السفر لبلاد المشركين: **«..إلا إذا كان المسافر ذا علم وبصيرة، ويريد الدعوة إلى الله والتوجيه إليه، فهذا أمر مستثنى، وهذا فيه خير عظيم؛ لأنه يدعو المشركين إلى توحيد الله ويعلمهم شريعة الله، فهو محسن وبعيد عن الخطر؛ لما عنده من العلم**

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات لابن باز (٤/٤٣٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والبصيرة، والله المستعان»، فمن تأهل بالعلم والبصيرة والدعوة إلى الحق فهذا لا يشمله النهي؛ لأنه على خير عظيم في دعوته إلى التوحيد وتعليم شريعة الله.

وقال / مبينًا أن المصلحة تقضي أحيانًا بدعوة المخالفين لأهل السنة والجماعة وإرشادهم إلى السنة، وتعليمهم ما أوجب الله عليهم والتأثير فيهم، لعله يزيدهم هدى فلا يعجل في الهجر: «...**أما إن كان عدم الهجر أصلح لأنه يرى أن دعوة هؤلاء المبتدعين وإرشادهم إلى السنة وتعليمهم ما أوجب الله عليهم يؤثر فيهم ويزيدهم هدى؛ فلا يعجل في الهجر، ولكن يبغضهم في الله كما يبغض الكافر والعصاة، لكن يكون بغضه للكفار أشد، مع دعوتهم إلى الله سبحانه والحرص على هدايتهم، عملًا بجميع الأدلة الشرعية**؛ ويبغض المبتدع على قدر بدعته إن كانت غير مكفرة، والعاصي على قدر معصيته، ويحبه في الله على قدر إسلامه وإيمانه، وبذلك يعلم أن الهجر فيه تفصيل...».

ويقول / في جوابه للفتاة الشيعية ناصحًا لها وموجهًا ومرشدًا ومشفقًا: «هذا.. **ونصيحتي لك ولأمثالك ترك الانتساب لمذهب البهرة أو غيره من مذاهب الشيعة؛ لكونها مذاهب مخالفة للطريقة المحمدية الإسلامية من وجوه كثيرة، فالواجب تركها والانتقال عنها إلى مذهب أهل السنة والجماعة، السائرين على مقتضى الكتاب والسنة، ومنهج سلف**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأمة من أصحاب الرسول ^ وأتباعهم بإحسان، وأسأل الله أن يهدي هذه الطائفة وغيرها من الطوائف المنحرفة عن طريق الصواب، وأن يأخذ بأيديهم إلى طريق الحق، وأن يوفقنا وإياك وسائر المسلمين لما فيه النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

*** من فتاوى الشيخ العلامة محمد الصالح العثيمين / :**

الفتوى التاسعة: سئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين / عن الرافضة: هل يعتبرون كفرة؟ وكيف يكون تعامل المسلم معهم، لأنهم كثيرًا ما يظهرون الحقد والبغض لأهل السنة؟

فأجاب فضيلته: الرافضة كغيرهم من أهل البدع، إذا أتوا بما يوجب الكفر صاروا كفارًا، وإذا أتوا بما يوجب الفسق صاروا فساقًا، وإذا كان لشيء من أقوالهم القريبة من أقوال أهل السنة شيء من النظر، وصار محل اجتهاد، فهم فيه كغيرهم، فلا يمكن أن يجاء بجواب عام ويقال: كل الرافضة كفار، وكل الرافضة فساق، لابد من التفصيل والنظر في بدعهم، **ويجب علينا أن ندعوهم إلى الحق، وأن نبينه لهم، وإذا كنا نعلم من أي فرقة هم فعلينا أن نبين عيب هذه الفرقة ولا نيأس؛ فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن Q، ربما يهديهم الله على أيدينا، فيحصل لنا خير كثير، والإنسان الذي يهتدي بعد أن كان غير مهتد قد تكون فائدته**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للمجتمع أكثر وأكبر من الذي كان مهتديًا من الأول؛ لأنه عرف الباطل ورجع عنه، وبينه للناس، فيكون بيانه للناس عن علم [١].

الفتوى العاشرة: س: رجل عاش مع الرافضة مدة من الزمن، وبعدها انتقل من عندهم إلى منطقة بعيدة، ولكنه وعدهم أن يزورهم، فهل يجوز له أن يفي بوعده لهم أم لا؟ وهل يجوز أن يسلم عليهم ويقبلهم ويجوز أكل طعامهم وشرب مائهم؟

الجواب: الواجب على الإنسان النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولعامة الناس، هؤلاء الرافضة الذي يسكن معهم يجب عليه أولًا أن يناصحهم، ويبين لهم الحق، ويبين أن ما هم عليه ليس بحق، فإذا عاندوا ولم يتقبلوا الحق فإنه يتركهم ولا يجلس معهم؛ لأنهم مخالفون معاندون، وأما تركهم وما هم عليه من الضلال بدون النصيحة فهذا خلاف هدي النبي ﷺ، وخلاف ما أمر به؛ فإن الواجب النصيحة أولًا، فإن هداهم الله للحق فهذا هو المطلوب، وإن لم يهتدوا وأصروا على ما هم عليه من الضلال فإنه يتركهم، ولا يجلس إليهم، ولا يزورهم إذا أبعد عنهم أو أبعدوا عنه [٢].

* يبين / هنا أن الواجب دعوة ونصيحة الرافضة وبيان الحق لهم، وأن تركهم وما هم عليه من الضلال بدون النصيحة خلاف هدي النبي

(١) الباب المفتوح، اللقاء السبعون، السؤال (١١).

(٢) لقاء الباب المفتوح (١ / ٤٢ - س:٣٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ﷺ وخلاف ما أمر به، وأن الواجب النصيحة أولًا، فإن هداهم الله للحق فهذا هو المطلوب.

الفتوى الحادية عشرة: جاء في فتاويه رحمه الله رحمة واسعة ما يلي:

س: فضيلة الشيخ في المناطق التي يكثر فيها الرافضة وقد يدخل بعضهم أحد المساجد فيصلي، فهل ننكر عليه ونخرجه من المسجد؟

الجواب: لا أرى أن تخرجوهم من المسجد؛ بل أرى أن تمكنوهم من المسجد ليصلوا، ولكن يجب عليكم أن تناصحوهم، وأن لا تيأسوا من هداية الله لهم؛ لأن الله Q على كل شي قدير، وقد بلغني أنه -ولله الحمد- بدأ منهم أناس يتحررون من رق مذهبهم ويلتحقون بمذهب أهل السنة والجماعة[1].

* وهنا يبين / ويرشد إلى نصيحة المخالفين، وأن لا نيأس من هدايتهم، فالله على كل شيء قدير، **ويبشر الشيخ / أن أناسًا من المخالفين يتركون بدعهم ومذاهبهم الفاسدة ويتمسكون بالسنة والحق.**

الفتوى الثانية عشرة: س: سؤال عن الرافضة وهم عندنا ينزلون إلى الأسواق ويصلون في المساجد هل يجوز لنا أن نطردهم من المساجد؟

الجواب: أنا لا أرى أن يطردوا من المسجد؛ بل يتركون يصلون لعل

---

(١) لقاء الباب المفتوح (٦ / ٤٤ - س:٣١٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله أن يهديهم، هم إذا دخلوا المساجد فيما أعرف يصلون مع الناس.

وإذا كانوا يصلون وحدهم خلف الجماعة؟

إذن يمنعون من الصلاة خلف الناس، ويقال: صلوا مع الناس، وأما طردهم من المساجد فلا أرى ذلك، وإذا كانوا لا يريدون الصلاة مع الجماعة يقال لهم: انتظروا إذا كنتم لا تريدون الصلاة مع الجماعة، انتظروا حتى يخرج الناس من المسجد وصلوا، **مع محاولة أنكم تدعونهم إلى الحق، لا على السبيل الجماعي يمكن ألا يحصل فيه فائدة، لكن تنظرون إلى المهذب منهم الذي عنده وعي وتدعونه إلى بيوتكم وتتكلمون معه بإنصاف وعدل**[١].

* وهنا هذا الإمام الرشيد / يفتي في مسألة عارضة وينتهز الفرصة للتوجيه إلى دعوة المخالفين، والرفق واللين في دعوتهم؛ بل ودعوتهم إلى البيوت لاستضافتهم ودعوتهم بالعدل والإنصاف.

الفتوى الثالثة عشرة: س: من المعلوم -يا شيخ- لديكم أنه يوجد عندنا في المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام كثير من الرافضة، ويدرسون معنا في المدارس كلها، فيسأل بعض المدرسين فيقول: هل يجب علي أن أعدل بينهم وبين الطلاب الذين هم من أهل السنة أم أقصر في حقهم ولا أعطيهم حقهم؟

---

(١) لقاء الباب المفتوح (٥ / ٢٧ - س:٣٦٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجواب: ...الواجب على المدرس أن يحكم بالعدل، قال الله **Q**: *
[المائدة:٨] ...

فهؤلاء التلاميذ إذا قدموا أجوبتهم فليغض النظر عن كونه من هؤلاء أو أولئك، وليصحح على ما كان أمامه من قول، إن كان صوابًا فهو صواب، وإن خطأً فهو خطأ...

إلى أن قال رحمه الله:

المهم: أن الواجب على المدرس إذا قدمت له أوراق إجابة أن يصحح حسب الجواب، بقطع النظر عن المجيب، وكذلك في أثناء التدريس يجب أن يعدل بين التلاميذ مهما كان الأمر، وهو بهذه الطريقة يفتح آفاقًا بعيدة قد لا يدركها؛ لأن الخصم يفهم أنه لم يظلمه، فيرغب فيه ويقول: هذا منصف، هذا عدل، ويجره ذلك إلى أن يألفه ويقبل منه ما يقول.

ننصح إخواننا المدرسين في البلاد التي يختلط فيها أهل السنة وأهل البدعة أن يحاولوا بقدر المستطاع تأليف أهل البدعة وجذبهم إليهم؛ لأن الشباب لين العريكة، سهل الانقياد، ولهذا قال الرسول ^ : (اقتلوا شيوخ المشركين واستبقوا شرخهم) يعني: شبابهم، يجتذبهم بذلك، لكن لو يعاملهم بالقسوة والآخرين باللين، أو يعاملهم بالتشديد والآخرين بالخفيف، أو يعاملهم بإسقاطهم وهم مجيبون صوابًا، فلا شك أن هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يولد في قلوبهم بغضًا وكراهة، حتى لو أن الحق كان مع هذا الأستاذ[١].

* فهو هنا -ولله دره من فقيه- يوجه المعلم وغيره إلى العدل ولو مع المخالف، وأن هذا باب لترغيبه وتأليف قلبه، وينصح / المدرسين الذين عندهم أخلاط من الطلاب أهل سنة وأهل بدع بتأليف قلوبهم وجذبهم إلى نفوسهم، واستغلال مرحلة الشباب عندهم؛ لأن الطالب فيها لين العريكة، سهل الانقياد والتأثر، وأن الظلم والقسوة لهم ينفرهم، ويولد البغض والكراهة للمعلم ولو كان الحق معه !

الفتوى الرابعة عشرة: س: فضيلة الشيخ كثرت الرافضة عندنا في السكن، وأصبح لهم بعض التحرك مع الطلاب الذين يأتون من خارج البلاد، يذهبون معهم إلى الأسواق ويباشرون حوائجهم، ولهم بعض الأنشطة، فما الحل معهم؟

الجواب: **إذا كان لهؤلاء نشاط في الدعوة إلى بدعتهم؛ فليكن منكم نشاط أكبر في الدعوة إلى سنتكم؛ لأن الحق إذا قام به أهله فإن الله Q يقول في كتابه:** * /@ ÉR S ÐtcÆ ’?ã »Ü@ ùÂBqø ¼ù Cî# –Ïd ø ¾ [الأنبياء:١٨]، **لكن كوننا نرى نشاط أهل البدع في بدعتهم ولا سيما البدع الغليظة، ثم نسكت أو نقول ماذا نفعل؟ يعتبر هذا جبنًا، فإذا كان لهم**

(١) لقاء الباب المفتوح (٢١/٣٧-٣٩) (س:٧٧٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دعوة فلتكن دعوتكم أنتم أكبر وأعظم؛ لأنكم على حق ومأجورون، وأما أهل البدع إذا دعوا إلى بدعتهم فهم آثمون مأزورون، عليهم الويل، وعليهم إثم كل من دعوه إلى هذه البدعة؛ لأن النبي ^ قال: (من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة).

فأنا أحثكم أن يكون لكم نشاط أعظم، فإذا كانوا يبذلون درهمًا فابذلوا درهمين، وإذا كانوا يأتون إلى هؤلاء في بيوتهم ويدعونهم إلى أن يأتوا إليهم في البيوت فليكن نشاطكم في هذا أكثر وأعظم.

وكما قلنا فيما سبق فإن النبي ^ أعطانا قاعدة نمشي عليها أن نعاملهم بمثل ما يعاملونا به[1].

* وهنا يوجه / الدعاة أن يبذلوا أضعاف ما يبذل المخالفون لأهل السنة من الدعوة إلى مذاهبهم ونحلهم الباطلة، وأن أهل الحق يثابون في دعوتهم للحق والسنة، كما أن المخالفين والدعاة إلى الباطل آثمون مأزورون في دعوتهم.

الفتوى الخامسة عشرة: السؤال: شخص داعية إلى الله عز وجل في مكان يكثر فيه أهل البدعة، هل يبدأ بالتوحيد أم بفضائل الأعمال كالصلاة؟

---

(١) لقاء الباب المفتوح (٢٤/٢٧ - س:٨٢٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجواب: **يرى الأنسب، إذا كان يرى أن يبدأ بالصلاة والأشياء المتفق عليها حتى يوطنهم ويألفوه فلا بأس، وقوله: وهؤلاء ينكرون موت الرسول ^ والصلاة في النعلين ...إلخ، على كل حال: يبدأ بالذي يرى أنه أنسب حتى يألفوه؛ لأنه لو بدأ يهاجم ما هم عليه من البدع من أول الأمر ربما ينفرون منه ويعادونه، وإذا كان لهم سلطة ربما يطردونه أيضاً من البلد...**[١].

* يوجه / الداعية إلى منهج أهل السنة والجماعة في تأليف المدعو وعدم البدء في دعوته بما يمكن أن ينفره، ولو كان هذا المدعو مبتدعاً.

---

(١) من أشرطة الفتاوى الثلاثية: وهي عبارة عن أسئلة علمية متفرقة في شتى المجالات يفتتح بها الشيخ كل درس من دروسه المسائية يجيب فيها عن ثلاثة أسئلة فقط بإجابات مختصرة مفيدة، تتضمن قواعد وضوابط وفوائد وفرائد بأسلوب بسيط وإقناع بديع.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل السابع
وسـائل دعـوة المخالفين

- تـأليف الكتـب والرسـائل - إلقـاء الـدروس والمحاضرات - الحوار العلمي - الهدية النافعة - الحوار على الشبكة العنكبوتية...
- هذه وغيرها وسائل مفيدة في دعوة أهل البدع إلى التمسك بالسنة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسـائل دعـوة المخـالفـين

لاشك أن من استشعر أهمية أمر سعى لتحقيقه، واستفرغ جهـده لنيـل مراده منه، وهذا في أمر الدين والدنيا عـلى الـسواء، ولا سـواء! فإنـه *ôBr

&ÇÌÈ ûüÙîó ßØ$`Ï ÓÍ_Ñ Aš‰r $[sî» ¹ ÐÜãr «ï $'«ì ¼æŠ `ÏB ÑÒó‰ ß¡ô‹

[فصلت:٣٣]، فأمرُ الدعوة إلى الله -كما بيّنا في أول الكتـاب- أمـر عظـيم، وفيه من الأجور لمن وُفق للإخلاص والمتابعـة مـا لا يعلمـه إلا الله تعـالى، وهو أهل الفضل والإحسان.

وإن من المهم هنا أن نوجز القول في وسائل الدعوة التي تفيد في إيصال الحق لمن ضل عنه من المخالفين، والذين نحسب أن ليس بينهم وبين الحق إلا دعوة داعٍ موفق مسدد، وقبل ذكر هذه الوسائل لابد من تحديد صفات الداعية الموفق الناجح الذي يصلح لدعوة الناس عمومًا ودعوة المخالفين خصوصًا؛ إذ إن مجال الدعوة ليس لكل أحد؛ بل لابد من توافر صفات وشروط في الداعية، وإلا كان إفساده أعظم من إصلاحه، ولا شك أن أساس الدعوة: الداعية الواعي الذي توجد فيه الصفات التالية:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صفات الداعية:

الأولى: أن يكون الداعية على علم فيما يدعو إليه:

وهو العلم الصحيح المستند إلى كتاب الله وسنة رسوله ^ ؛ لأن كل علم يتلقى من سواهما يجب أن يعرض عليهما أولًا، فإما أن يكون موافقًا أو مخالفًا، فإن كان موافقًا قبل، وإن كان مخالفًا وجب رده على قائله كائنًا من كان.

وأما الدعوة بدون علم فإنها دعوة على جهل، والدعوة على جهل ضررها أكبر من نفعها؛ لأن هذا الداعية قد نصب نفسه موجهًا ومرشدًا، وإذا كان جاهلًا فإنه بذلك يكون ضالًا مضلًا والعياذ بالله، ويكون جهله هذا جهلًا مركبًا، والجهل المركب أشد من الجهل البسيط.

الثانية: أن يكون الداعية صابرًا في دعوته:

صابرًا على ما يدعو إليه.. صابرًا على ما يعترض دعوته.. صابرًا على ما يعترضه من الأذى، فهذه ثلاثة أنواع من الصبر:

الأول: أن يكون صابرًا على الدعوة، أي: مثابرًا عليها، لا ينقطع عنها ولا يمل منها، بل يكون مستمرًا في دعوته إلى الله بقدر المستطاع، وفي المجالات التي تكون الدعوة فيها أنفع وأولى وأبلغ.

الثاني: أن يكون صابرًا على ما يعترض دعوته من معارضات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومجـادلات؛ لأن كـل إنـسان يقـوم داعيًـا إلى الله Q لابـد أن يعـارض: *

& ÇÌ:È #Z̃Ã Rr $Z̃$d 7ĥÎ 4".r ûüB̀ÏõB$`B #x¶ã ©É @à$ $Zt_ 7ÿ<.r

[الفرقان:٣١].

الثالث: أن يكون الداعية صابرًا على ما يعترضه من الأذى؛ لأن الداعية لابد أن يؤذى إما بالقول وإما بالفعل، وليكن قدوته في ذلك رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم؛ فقد أوذوا بالقول والفعل، وتأمل في هذا قوله سبحانه: * .>ÿ7 B$ '«$ûïÏ%©!$ `B Nĝ̊Îô% `B ¨§qß @ŷ) žw̃) (q9$%

[الذاريات:٥٢]. & ÇÎÈ bqãZg̊C «` ŕÏm$™

فعلى الداعية أن يكون صبورًا، وأن يـستمر حتـى يفـتح الله لـه، ولـيس من الضروري أن يفتح الله لـه في حياتـه؛ بـل إن المهـم أن تبقـى دعوتـه بـين الناس ناصعة متبوعة، فليس المهم هو الشخص، ولكن المهم هو الـدعوة، فإذا بقيت دعوته ولو بعـد موتـه، فإنـه حـي، قـال الله Q: *&`Br` .¼b $B̃tB

§ŷ9 M»Jè=à9$'Î ¼ã#W̃B `J. Ä $Y9$ † Î¾Ïn7 ÓÅô\ #Yqç¼mç9 $Yt_r ÿy\•ŠômV'ù

[الأنعام:١٢٢]. & $k̃]ÏB 8ĺ$ƒ2

الثالثة: الحكمة:

فيدعو إلى الله بالحكمة، وما أَمَرَّ الحكمة على غير ذي الحكمة! فلا بد من الدعوة إلى الله بالحكمة، ثم بالموعظة الحسنة، ثم الجدال بالتي هي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحسن لغير الظالم، ثم الجدال بما ليس أحسن للظالم.. فالمراتب إذن أربع.

قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦].

والحكمة هي: إتقان الأمور وإحكامها، بأن تنزل الأمور منازلها، وتوضع في مواضعها.

لكن ليس من الحكمة أن تتعجل وتريد من الناس أن ينقلبوا من حالهم التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة بين عشية وضحاها؛ فإن من أراد ذلك فهو سفيه العقل، بعيد عن الحكمة؛ لأن حكمة الله **Q** تأبى أن يكون هذا الأمر، ويدلك على هذا: أن محمدًا رسول الله ^ - وهو الذي ينزل عليه الكتاب - نزل عليه الشرع متدرجًا حتى استقر في النفوس وكمل.

فلابد من التأني ومراعاة التدرج في التأثير على المخالف مخالفًا كان أو غيره: وذلك بجذبه إلى الحق شيئًا فشيئًا، ولا يُستعجل في ذلك، خاصة إذا عرفنا أن كثيرًا من أهل البدع قد تلبس بها منذ الصغر، ونشأ في وسط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الابتداع، والبيئة تؤثر على هؤلاء، كما قال تعالى: ﴿ * r ¹ ‰ dš $B $ MR‰ . ? ‰ Ze ﴾ [النمل:٤٣].

فليكن همّك زرع الخير وبذر الحق في النفوس، ولا تنتظر إعلان الهداية إلى سفينة النجاة من البداية[1].

الرابعة: أن يتخلق الداعية بالأخلاق الفاضلة:

بحيث يظهر عليه أثر العلم في معتقده، وفي عبادته، وفي هيئته، وفي جميع سلوكه، حتى يمثل دور الداعية إلى الله، أما إذا كان على العكس من ذلك فإن دعوته سوف تفشل، وإن نجحت فإن نجاحها يكون قليلًا.

الخامسة: التفريق بين البغض في الله وكراهة المنكر وبين أداء الحقوق والواجبات وحسن الخلق:

لأن بعض الدعاة إذا رأى قومًا على منكر قد تحمله الغيرة وكراهة هذا المنكر على أن لا يذهب إلى هؤلاء، ولا ينصحهم، وهذا خطأ، وليس من الحكمة أبدًا؛ بل الحكمة أن تذهب وتدعو وتُبلِّغ، وتُرغِّب وتُرهِّب.

وإذا كان الداعية المسلم لا يمكن أن يدعو هؤلاء، أو يذهب إليهم لدعوتهم إلى الله فمن الذي يدعوهم؟ أيدعوهم من هو مثلهم؟ أم يدعوهم قوم لا يعلمون؟

---

(1) كيف تدعو (ص:٢٣) بتصرف يسير.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السادسة: أن يكون قلب الداعية منشرحًا لمن خالفه:

لاسيما إذا علم أن الذي خالفه حسن النية، وأنه لا يخالفه إلا بمقتضى قيام الدليل عنده؛ فإنه ينبغي للإنسان أن يكون مرنًا في هذه الأمور، وأن لا يجعل من هذا الخلاف مثارًا للعداوة والبغضاء، إلا إذا كان المخالف معاندًا، بحيث يبين له الحق ولكنه يصر على باطله؛ فإن هذا يجب أن يعامل بما يستحق أن يعامل به من التنفير عنه وتحذير الناس منه؛ لأن هذا تبيّنت معاندته وعداوته، حيث بُيّن له الحق فلم يمتثل[١].

الوسائل المعينة على دعوة المخالفين:

سأشير هنا فقط إشارات إلى بعض الوسائل المعينة في دعوة المخالفين، وقد استقيتها من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ومن كلام أهل العلم، وهي أيضًا من واقع وتجارب شتى آتت ثمارها، فنسأل الله التوفيق والسداد:

أولاً: إعطاؤهم حقوقهم والإقرار لهم بها:

فقد شرع الإسلام حقوقًا للمسلمين تُعطى لكل مسلم وإن كان فاسقًا أو مبتدعًا بدعة غير مكفرة، ومن وسائل دعوة المخالفين الإقرار لهم بهذه الحقوق وإعطاؤهم إياها؛ فإن هذا مما يجذبهم ويقربهم، ومن أهم

---

(١) ملخص من رسالة زاد الداعية إلى الله، للشيخ ابن عثيمين / . الزاد السادس.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تلك الحقوق:

١ - لزوم أمر المخالف بالمعروف ونهيه عن المنكر، وإرشاده إلى الحق، وإبلاغه الحجة، وتفهيمه إياها بالحسنى والحكمة.

وقد حوت صفحات هذا الكتاب كثيرًا من الأدلة والبراهين على هذا الحق، ومما يذكر أيضًا هنا ما قام به أئمة أهل السنة والجماعة من دعوة للمخالفين وإرشادهم إلى منهج الحق والصواب.

ومما يؤيد ذلك ما قام به الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ عندما بعث عبد الله بن عباس ﷺ إلى الخوارج لدعوتهم وإقامة الحجة عليهم، قال ابن عباس ﷺ: (فدخلت على قوم لم أر قومًا أشد اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم معلمة من آثار السجود، فدخلت فقالوا: مرحبًا بك يا بن عباس، لا تحدثوه.

وقال بعضهم: لنحدثنه.

قال: قلت: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله ﷺ معه؟

قالوا: ننقم عليه ثلاثًا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقلت: ما هن؟

قالوا: حكَّم الرجال في دين الله، وقال: * & + ẅ) ßßÔ$ ßî [الأنعام:٥٧]!

قال: قلت: هذه واحدة، وماذا أيضًا؟

قالوا: فإنه قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، فلئن كانوا مؤمنين ما حلّ قتالهم، ولئن كانوا كافرين لقد حلّ قتالهم وسبيهم!

قال: قلت: وماذا أيضًا؟

قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين، فلئن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين!

قال: قلت: أرأيتكم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله ما ينقض قولكم هذا أترجعون؟

قالوا: وما لنا لا نرجع؟!

قال: أمَّا حكَّم الرجال في أمر الله؛ فإن الله تعالى قال في كتابه: * $K§»7 @#B Ø" f ù #%ÜèGB NaZB ¼&F% `Br Pe&r ‰A 9$ qè? Ẅ qB#ä ûï%$ [المائدة:٩٥]، وقال في المرأة وزوجها: * & NaYB A&a #rE ¾ï7 Naz Eèz9$ `B @F% $B &$gî& ôB $V3mr ¾ï& ôB $V3m qè $KÍ=/ -$)© Oßå r*

[النساء:٣٥]، وصيَّر الله ذلك إلى حكم الرجال، فناشدتكم الله أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين وإصلاح ذات بينهم أفضل أو حكم أرنب ثمنه ربع درهم، وفي بضع امرأة؟

قالوا: على هذا أفضل.

قال: أخرجتم من هذه؟

قالوا: نعم.

قال: فأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم، أَتَسْبُون أمكم عائشة؟ فإن قلتم: نسبيها فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمنا فقد كفرتم، فأنتم تترددون بين ضلالتين. أخرجتم من هذه؟

قالوا: بلى.

قال: وأما قولكم: محا نفسه من إمرة المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون، إن نبي الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو، وقال رسول الله ﷺ: (اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله. فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو: وما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك. فقال: اللهم إنك تعلم أني رسولك،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

امح يا علي، واكتب: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو).

ورسول الله ﷺ أفضل من علي، أخرجتم من هذه؟

قالوا: اللهم نعم)[١].

وبعد هذه المحاورة المقنعة التي استعمل فيها عبد الله بن عباس الأدلة المقنعة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعبارات بعيدة عن الغلظة والشدة، مع الحرص على هدايتهم، كانت النتيجة أن رجع منهم ألفان، وقيل: أربعة آلاف، وقيل: عشرون ألفًا.

ومن ذلك أيضًا ما قام به الإمام أحمد / من دعوة للمخالفين وإرشاد لهم، ومن ذلك إرشاده لموسى بن حزام الذي كان ينتحل الإرجاء، فاهتدى إلى منهج أهل السنة والجماعة وذب عنها ولزمها حتى مات[٢].

---

(1) روى هذه الحادثة الإمام أحمد في مسنده، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح: (٢/٦٥٦-٦٥٧)، ورواها الهيثمي في الزوائد (٦/٢٤٠)، وقال: رواه الطبراني وأحمد ببعضه ورجالهما رجال الصحيح، ورواها ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: (٢/١٠٤).

(2) انظر: تهذيب التهذيب (١٠/٣٤١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومما يدل على هذا أيضًا ما قرّره الفقهاء في حالة خروج طائفة من المسلمين بتأويل محتمل، وقامت بتنصيب إمام، وامتنعت عن طاعة إمام العدل أنَّ على الإمام أن يبعث إليهم فيسألهم: ما تنقمون؟ فإن ذكروا مظلمة أزالها عنهم، وإن لم يذكروا مظلمة بيّنة دعاهم إلى طاعته، فإن امتنعوا فإنه يدعوهم إلى المناظرة، فإن امتنعوا عن المناظرة أو ناظروا وظهرت الحجة عليهم فأصروا على بغيهم يقاتلهم الإمام حتى يفيئوا إلى طاعته[1].

وهكذا دأب أهل السنة والجماعة على إقامة الحجة على المخالفين من خلال أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ومناظرتهم، ومن أشهر هذه المناظرات مناظرة عبد العزيز الكناني لبشر المريسي، ذلك أنه لما انتشر في بغداد عاصمة الخلافة العباسية القول بخلق القرآن، وعَظُمَ أمر البدعة فيها، وعلى رأسهم بشر المريسي، تحرك عبد العزيز الكناني من بلاده مكة وتوجه إلى بغداد؛ لمناظرته، وإقامة الحجة عليه.

وقد أورد ابن الوزير / هذه المسألة حينما قال: «فإن قيل: هل السكوت عن المبتدعة لازم، خوفًا من التفرق؟

---

(1) شرح السنة، للبغوي (١٠/ ٢٣٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قلنا: أما بيان بدعهم وكفُّ شرهم على الوجه المشروع فواجب ومستحب، وأما المراء الذي يظن فيه المفسدة دون المصلحة فلا خير منه»[١].

٢ - الإقرار له بالإسلام.

وهذا إذا كانت المخالفة غير مكفِّرة، وإذا كان المخالف جاهلًا أو متأولًا تأويلًا سائغًا، فقد مضى أن هؤلاء يعذرون ولا يكفرون، ويلزم على هذا الإقرار لهم بالإسلام فهم مسلمون، وإن كانت فيهم بدعة، وهم أقرب إلى المسلمين من الكفار واليهود والنصارى، وهذا ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية / إذ يقول: «**كل من كان مؤمنًا بما جاء به محمد ﷺ فهو خير من كل من كفر به، وإن كان في المؤمن بذلك نوع من البدعة، سواء كانت بدعة الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية أو غيرهم، فإن اليهودَ والنصارى كفارٌ كفرًا معلومًا بالاضطرار من دين الإسلام، والمبتدع إذا كان يحسب أنه موافق للرسول ﷺ لا مخالف له لم يكن كافرًا به، ولو قدر أنه كفر فليس كفره مثل كفر من كذَّب الرسول ﷺ**»[٢].

---

(1) العواصم والقواصم (١/ ٢٢٠).

(2) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٢٠١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويعقب الشيخ محمد عبد الهادي المصري على ذلك بقوله: «وأهل السنة والجماعة يفرقون بين المبتدعة من أهل القبلة مهما كان حجم بدعتهم، وبين من علم كفره بالاضطرار من دين الإسلام كالمشركين، وأهل الكتاب، وهذا في الحكم الظاهر على العموم، مع علمهم أن كثيرًا منهم منافقون وزنادقة في الباطن»[1].

ومن الأدلة على الإقرار للمخالفين بالإسلام أن علي بن أبي طالب ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لم يكفروا الخوارج وأقروا لهم بالإسلام، وعاملوهم معاملة المسلمين.

٣- عدم ظلمهم.

وهذا حق من حقوق المسلم على أخيه، فإذا كان الإسلام ينهى ويحرم ظلم اليهود والنصارى من أهل الذمة، فمن باب أولى عدم ظلم المسلم الذي لم يخرج ببدعته من الإسلام، ونصره على من يظلمه، والدفاع عنه، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام / وهو ينهى عن إيذاء المخالفين له، ويدعو إلى إكرامهم ونصرتهم: «**وإني لا أحب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين- فضلًا عن أصحابنا- بشيء أصلًا، لا باطنًا ولا ظاهرًا، ولا**

(1) معالم الانطلاقة الكبرى (ص:١٤٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عندي عتب على أحد منهم، ولا لوم أصلًا، بل لهم عندي من الكرامة والإجلال والمحبة والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان، كل بحسبه، ولا يخلو الرجل: إما أن يكون مجتهدًا مصيبًا أو مخطئًا، أو مذنبًا، فالأول: مشكور، والثاني: مع أجره على الاجتهاد فمعفو عنه مغفور له، والثالث: فالله يغفر لنا وله ولسائر المؤمنين... وتعلمون أنا جميعًا متعاونون على البر والتقوى، واجب علينا نصر بعضنا البعض أعظم مما كان وأشد... وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي... وأهل القصد الصالح يشكرون على قصدهم، وأهل العمل الصالح يشكرون على عملهم، وأهل السيئات نسأل الله أن يتوب عليهم»[1].

وقد ظهر موقف الشيخ عليه رحمة الله في تعامله مع المخالفين في زمنه، ومن ذلك أن السلطان محمد قلاوون كان مقرِّبًا لشيخ الإسلام ومحبًا له، وفي إحدى السنين خرج السلطان للحج، فأخذ السلطنة الملك المظفر ركن الدين بيبرس تلميذ الصوفي نصر المنبجي، وكان نصر هذا معاديًا لشيخ الإسلام، ومن أتباع ابن عربي الصوفي، وسبب العداء أن شيخ الإسلام كان يبين ضلال ابن عربي.

فلما تولى بيبرس سعى بعض علماء المبتدعة لاستصدار فتوى بقتل شيخ الإسلام ابن تيمية، لكن ما لبث أن عاد السلطان محمد قلاوون،

(1) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٢-٥٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واستعاد الملك من بيبرس، فقرَّب شيخ الإسلام، ثم أخرج له فتوى أولئك بقتله؛ لأنه كان حانقًا عليهم، قال شيخ الإسلام / : «ففهمت مقصوده، وأنَّ عنده حنقًا شديدًا عليهم لَمَّا خلعوه وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس، فشرعت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، أما أنا فهم في حلٍّ من حقي ومن جهتي»[١].

فكان القاضي زين الدين ابن مخلوف قاضي المالكية يقول بعد ذلك: «ما رأينا أتقى من ابن تيمية، لم نُبقِ ممكنًا في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا»[٢].

ومثال آخر على تعامل شيخ الإسلام مع المخالفين، ففي مرة اعتدى أهل البدعة على الشيخ فضربوه، ولما علم تلامذته ومحبّوه جاءوا إليه مسرعين، فأرادوا أن يثأروا للشيخ، فمنعهم الشيخ، وقال: «هذا لا يحل؛ فقالوا: هذا شيء لا نصبر عليه، قال لهم الشيخ: إما أن يكون الحق لي، أو لكم، أو لله، فإن كان الحق لي فهم في حل منه، وإن كان لكم فإن لم

(1) البداية والنهاية (١٤/ ٥٤-٥٥)، والعقود الدرية (ص:١٨٧).
(2) العقود الدرية (ص:١٨٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تسمعوا مني وتستفتنوني فافعلوا ما شئتم، وإن كان الحق لله إنه يأخذ حقه إن شاء كما شاء.

فقالوا له: هذا الذي فعلوه معك هو حلال لهم؟!

قال: هذا الذي فعلوه قد يكونون مثابين عليه مأجورين فيه.

قالوا: فتكون أنت على الباطل وهم على الحق؟!

فإذا كنت تقول: إنهم مأجورون فاسمع منهم ووافقهم على قولهم.

فقال لهم: ما الأمر كما تزعمون؛ فإنهم قد يكونون مجتهدين مخطئين، ففعلوا ذلك باجتهادهم، والمجتهد المخطئ له أجر»[١].

٤ - قبول كلام المخالف إن كان حقًا وموافقًا للشرع.

فإن أهل السنة والجماعة يقبلون الحق من كل من جاء به، وفي ذلك يقول معاذ بن جبل ﷺ: (تلقَّ الحق إذا سمعته؛ فإن على الحق نورًا)[٢].

وقال ابن تيمية / : «**والله أمرنا أن لا نقول إلا الحق، وأن لا نقول عليه إلا بعلم، وأمرنا بالعدل والقسط، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني- فضلًا عن الرافضي- قولًا فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا**

(1) العقود الدرية (ص:١٨٩-١٩٠).

(2) أبو داود (٢/٦١٢)(٤٦١١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق»[١].

وقال ابن القيم / : «**اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضًا، ورد الباطل على من قاله وإن كان حبيبًا**»[٢].

وقرر أنه لا يردُّ كل قول من أخطأ جملة، بل لا بد من تمييز الحق من الباطل، فقال: «**فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات**»[٣].

وقال أيضًا: «.. فإن كل طائفة معها حق وباطل، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق، ورد ما قالوه من الباطل، ومن فتح الله له بهذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب، ويسر عليه من الأسباب»[٤].

ونجد أن الرسول ﷺ وهو قدوتنا في هذا الأمر، قبل الحق من اليهودي، حيث روت قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: (أتى حَبْر من الأحبار رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم، لولا أنكم تشركون.

---

(1) منهاج السنة النبوية (٢/ ٣٤٢).

(2) مدارج السالكين (٣/ ٥٢٢).

(3) المرجع السابق (٢/ ٣٩).

(4) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص:٣٧٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله! وما ذاك؟!

قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة.

قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شيئًا، ثم قال: إنه قد قال، فمن حلف فليحلف بربِّ الكعبة.

قال: يا محمد! نعم القوم أنتم، لولا أنكم تجعلون لله نِدًّا.

قال: سبحان الله! وما ذاك؟!

قال: تقولون: ما شاء الله وشئت.

قال: فأمهل رسول الله ﷺ شيئًا، ثم قال: إنه قد قال، فمن قال: ما شاء الله، فليفصل بينهما ثم شئت)[١].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي /: «**بل كما تشهدون لوليكم فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له، فلو كان كافرًا أو مبتدعًا فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق، لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله؛ فإن هذا ظلم للحق**»[٢].

---

(1) رواه أحمد: (٦/ ٣٧١-٣٧٢)، والحاكم (٤/ ٢٩٧)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة، رقم (١٣٦).

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٤٦٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن من ليست لديه قدرة على تمييز الحق أو الباطل من كلام المخالفين ينهى عن قراءة كتبهم أو سماع مقالتهم، حتى لا يشتبه عليه الحق بالباطل والبدعة بالسنَّة.

٥ - الدعاء لهم بالهداية، والصلاة على موتاهم.

يقرر شيخ الإسلام جواز الصلاة على المبتدعة ممن لا يكفر ببدعته ولا يخرج من الإسلام، فقال وهو يتحدث عن صلاة النبي ﷺ على المنافقين قبل أن ينهى: «...فكان ذلك دليلًا على أن كل من لم يعلم أنه كافر في الباطن جازت الصلاة عليه والاستغفار له، وإن كانت فيه بدعة، وإن كانت له ذنوب، وإذا ترك الإمام وأهل العلم والدين الصلاة على بعض المتظاهرين ببدعة أو فجور زجرًا عنها لم يكن ذلك محرِّمًا للصلاة عليه والاستغفار له»[١].

ثم استشهد بأن الإمام أحمد رغم ما لاقاه من ظلم الجهمية، القائلين بخلق القرآن، وحبسه، وتعذيبه، إلا أنه دعا للخليفة وغيره ممن ضربه، وحبسه، واستغفر لهم، وحللهم مما فعلوه به من الظلم، ولو كانوا مرتدين

(1) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٨٨-٣٨٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم؛ فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع(١).

وحينما كتب شيخ الإسلام كتابًا إلى الشيخ نصر المنبجي أكثر فيه من الدعاء والثناء عليه، فجاء فيه: «من أحمد ابن تيمية إلى الشيخ العارف، القدوة السالك، أبي الفتح نصر، فتح الله على باطنه وظاهره ما فتح به على قلوب أوليائه، ونصره على شياطين الإنس والجن في جهره وخفائه، ونهج به الطريقة المحمدية الموافقة لشريعته»، ثم يمضي شيخ الإسلام في الدعاء والثناء فيقول: «فالشيخ أحسن الله إليه قد جعل فيه من النور والمعرفة الذي هو أصل المحبة والإرادة...»(٢).

وكان هذا الثناء والدعاء مقدمة طيبة لبيان خطأ الصوفية القائلين بالاتحاد والحلول، وبيان بطلان ذلك، كل ذلك في عبارة ليِّنة، وبراهين ساطعة، مبتعدًا عن أساليب الإثارة، مهتديًا بقوله تعالى: * ùàqW Ÿ9 ¼çq %öWZ
Ÿ©$Ÿè¼ãã Ff ×©ã &ﬁ tØ ´ 4 ÈÍÍÇ & [طه:٤٤].

(1) مجموع الفتاوى (١٢/٣٨٩).

(2) مجموعة الرسائل والمسائل (١/١٦٩-١٨٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويستنبط الشيخ محمد عبد الهادي المصري هذه القاعدة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وكلام أهل السنة والجماعة فيقول: «**أهل السنة والجماعة يدعون لأهل البدع بالهداية ما لم يعلم كفرهم**»(١).

٦ - التعاون معهم وفق منهج أهل السنة والجماعة.

والمراد هنا التعاون مع المخالفين الذين لم يخرجوا من الإسلام، وهناك ضوابط تضبط هذا التعاون حتى لا يتهاون متهاون أو يفرط أحد، وهذه الضوابط كالتالي(٢):

أ) أن يكون التعاون مع المخالف في المجالات التي لا خلاف فيها، أي: في دائرة الحق الذي يقبله الشرع، والخير الذي يحبه الله من علم وجهاد ودعوة، كما قال ابن القيم / : «..**فإن كل طائفة معها حق وباطل، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق ورد ما قالوه من الباطل، ومن فتح الله له هذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب، ويسَّر عليه من الأسباب**»(٣).

---

(1) معالم الانطلاقة الكبرى (ص:١٤٩).

(2) حقيقة البدعة وأحكامها (٢/ ٣٧٢).

(3) طريق الهجرتين (ص:٣٨٦-٣٨٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب) مراعاة المصلحة والمفسدة عند التعاون مع المخالف.

فإذا كان التعاون مع المخالف يؤدي إلى حصول مصلحة أعظم من مفسدة بدعته، أو درء مفسدة أكبر من مضرة بدعته تعيّن التعاون معه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية / : «.. **فإذا تعذَّر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيرًا من العكس**»[1].

ج) ألا يتخذ المخالف هذه المعاونة ذريعة لنشر بدعته، أو يؤدي إلى رجحان قوته على قوة أهل السنة والجماعة.

د) مراعاة ضوابط الهجر المتقدم ذكرها، مع ضوابط التعاون هذه.

ولا يظن ظانٌّ أن في إقرار التعامل مع المخالفين الذين لم يخرجوا من الإسلام، أن في ذلك إقرارًا على بدعتهم أو تفضيلًا لهم، وإنما بيان لمنهج الإنصاف والعدل عند أهل السنة والجماعة، وإيضاح لهذه الطريقة الشرعية للتعامل مع المخالفين التي يتحقق بها الاجتماع على الحق والاتباع للشرع، مع درء البدع وإغلاق المنافذ أمامهم، وتأليف قلوب المخالفين وبذل النصيحة لهم.

---

(1) مجموع الفتاوى: (٢٨/ ٢١٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانيًا: الحوار والمناظرة والجدل:

ورد في القرآن الكريم مصطلح الجدل ومرادفاته كالمراء والتحاج في آيات كثيرة، فالجدل ومشتقاته ورد إحدى وعشرين مرة، والتحاج ورد ثلاث عشرة مرة، والمراء ثمان عشرة مرة.

وإذا أُطلقت هذه المصطلحات فإنها تشير إلى المعنى المذموم في الجدل والمـــــراء، كقولـــــه تعـــــالى: * N9 ?• Î‹’$%Ïi “ n!4 Î•Ü¿N Î’ ‘hiû & [البقرة:٢٥٨].

وقوله: * $%Ïiû tã_$ •q cš Î’$ «! Ï`. /è‰ B$$Ï5Ç Ê= | ã¼ è çgGNš #m Ï Ò p ‘hÏN & ‰ZÏã [الشورى:١٦].

وقوله: * w& bÎ $%Ïiû ãJ$r cš Î’ $9 ¡$ã p Å’ Ê¨@ /è‹% ÈÑÇ & [الشورى:١٨].

وقوله: * r_ ‰%q($#79 Ü@È äÏ%m Ï (qàÎ ïÏ$ tø ;¨ & [غافر:٥].

وقد وردت أحاديث تذم الجدال والمراء، منها قوله ﷺ: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا)(١).

وقوله ﷺ: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)(٢).

---

(1) أبو داود (٢/٦٦٨)(٤٨٠٠).

(2) تقدم تخريجه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال الحسن البصري / : (إياكم والمراء؛ فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته).

وإنما نهي عنه لما يؤدي إليه من إثارة الضغائن والأحقاد، ويوغر الصدور بين المتحاورين، وهذا هو المراء والجدل المذموم.

وأما المراء والجدل المحمود فقد قيده القرآن بالتي هي أحسن؛ ليميزه عن الجدل المذموم، وفي ذلك إشارة إلى إباحته والندب إليه إذا قيد بهذا القيد.

قال تعالى: * r_‰»OÉL©9$$ Ïd ‘ ôm&¡|ß & [النحل:١٢٥].

وقـــــال تعـــــالى: * r_‰»pè% tA÷d& É=»tGÅ6ø9$# žwÎ) ÓÉL©9$$ Ïd ‘ ôm&¡|ß &
[العنكبوت:٤٦].

ويقرر ابن القيم / مشروعية مناظرة أهل الكتاب ووجوبها في أحوال، وذلك عند إيراده للفوائد المستقاة من قصة قدوم وفد نجران عليه ^ ، فيقول: «**ومنها : جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة، فليولِّ ذلك إلى أهله، وليخلِ بين المطي وحاديها، والقوس**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وباريها»[١].

فإذا كان هذا حكم مناظرة أهل الكتاب، فمن باب أولى أن يكون الحكم كذلك في المخالفين لأهل السنة والجماعة.

وهناك أساليب شرعية في الحوار والمناقشة والعرض يجب الالتزام بها حتى يكون الحوار والجدال ممدوحًا، ويمكن بيان هذا بما يلي:

١ - أن يكون قصدنا وغايتنا هداية المخالف، وتأليف قلبه لا تنفيره، وهذا لا يتم إلا بإخلاص القصد، كما أوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية / : «**وهكذا الرد على أهل البدع من الرافضة وغيرهم، إن لم يقصد منه بيان الحق وهدي الخلق ورحمتهم والإحسان إليهم لم يكن عمله صالحًا، وإذا غلظ في ذم بدعة أو معصية كان قصده بيان ما فيها من الفساد، ليحذر العباد كما في نصوص الوعيد وغيرها، وقد يهجر الرجل عقوبة وتعزيرًا، والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله للرحمة والإحسان، لا للتشفي والانتقام**»[٢].

---

(1) زاد المعاد (٣/٥٤٩).

(2) منهاج السنة النبوية (٥/٢٣٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- استعمال القول اللين، والعبارات الحسنة، تنفيذًا لقوله تعالى: * ur& tbqà)ÏÿZム©!$# ¨bÎ) ©!$# 7's#ç7ß™ ×ûüÎ7B ÇÍÈ & [طه:٤٤]، فالله يأمر موسى وهارون عليهما السلام أن يستخدما اللين في القول مع فرعون؛ لأن ذلك أدعى إلى تذكرته وخشيته، وأقرب إلى انتفاعه وهدايته.

وهذه هي طبيعة النفس البشرية تنجذب إلى القول اللين، ويسهل قيادها إلى الحق بذلك، أما مع الجفاء والغلظة والشدة في العبارات فلا يجنى إلا النفرة والفتور، وإيغار الصدور، وانغلاق القلب عن سماع الحق والهدى[١].

ومما يؤيد هذا ما ذكره الشاطبي نقلًا عن أبي حامد الغزالي رحمهما الله، حيث يؤكد أن العنف في الرد على المخالفين وأصحاب المقالات الباطلة يؤدي إلى معاندتهم وتمسكهم بباطلهم، قال: «**أكثر الجهالات إنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جهلة أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدِّي والإدلال، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء، فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة، ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة، وتعذر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها**»[٢].

---

(1) إنصاف أهل السنة (ص:٢٥٨-٢٥٩).

(2) الاعتصام: ٢/ ٢٣٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فانظر إلى آثار العنف والشدة، وما تحدثه من تمسك أهل الباطل بباطلهم ونفرتهم عن الحق وأهله، وصدق الله في قوله لموسى حينما بعثه وأخاه إلى فرعون، فقال لهما: * ùàq)Ẅvq 9ç¼ %öqZ©Ï$Y©9è¼ fF x©ã &ŧ tø ´Ǿ & [طه:٤٤].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية / : «(فصل) وإذا كان اليهودي أو النصراني خبيرًا بالطب ثقة عند الإنسان ، جاز له أن يستطبه...» إلى أن قال / : «وإذا وجد طبيبًا مسلمًا فهو أولى، وإن لم يجد إلا كافرًا فله ذلك، وإذا خاطبه بالتي هي أحسن كان حسنًا»(١).

فعلى المحاور والمجادل أن يتحلى بأخلاق الداعية من التلطف بالقول، واستعمال العبارات التي تفتح قلب المخالف، والابتعاد عن احتقاره أو تحديه، وأن يكلمه بروح الناصح المشفق المخلص.

وقد أشار ابن الوزير إلى ذلك فقال: «الكلام في المحاضرات والمراسلات والمناظرات والمحاورات وإن تفاوتت مراتبه، وطالت مساحبه، وتباينت تراكيبه، وتنوعت أساليبه، فمسالكه المستجادة أربعة مسالك، ولا يليق التعدي إلى وراء ذلك:

المسلك الأول: الدعاء إلى الحق بالحكمة البرهانية والأدلة القطعية،

---

(1) مختصر الفتاوى المصرية (ص:٦٥٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهي أجل المراتب وأرفعها وأقطعها للتشعيب وأنفعها..»[١].

وذكر مسلك الجدلية، والخطابية، والوعظية، وقسم المسلك الأخير إلى نوعين: التأليف والترغيب، والتخويف والترهيب.

ثم تحدث عن الأول فقال: «أما النوع الأول: وهو نوع التأليف والترغيب، فهو الدعاء إلى الحق بالملاطفة، وضرب الأمثال، وحسن الخلق، ولين القول، وحسن التصرف في جذب القلوب وتمييل النفوس..»[٢].

ثم ذكر صورًا من استعمال الرسول ^ اللين والتيسير والترغيب، مثل نهيه ^ لأصحابه عن انتهار الأعرابي الذي بال في ناحية من المسجد، وقوله: (إن منكم منفرين)[٣]، ومع الذي وقع على زوجته في رمضان، والمقرين بالزنى، وكذلك مع اليهود حينما قالوا له: (السام عليكم)، فلم يلعن أحدًا ولا شتمه بل نهى عن شتمهم ولا عبس في وجه أحد منهم، ولا انتهره؛ إيناسًا للقلوب وتأليفًا وتنشيطًا للنفوس وترغيبًا.

---

(1) العواصم والقواصم (١/ ٢٢٨).

(2) العواصم والقواصم (١/ ٢٢٩).

(3) البخاري (١/ ٢٤٨، ٢٤٩) (٥/ ٢٢٦٥) (٦٧٠، ٦٧٢، ٥٧٥٩)، مسلم (١/ ٢٤٠) (٤٦٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم قال: «فجدير بمن انتصب في منصب الفتيا أو ترقى إلى مرتبة التدريس وتهيأ للرد على الجاهلين، والدعاء إلى سبيل رب العالمين، أن يكون مقتفيًا لرسوله ^ عاملًا بما قال الله من الدعاء إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة»[1].

وبين / متى تستعمل الشدة في الإنكار والزجر والتخويف، وأن هناك شروطًا وقيودًا لاستعمال الشدة فقال: «**واعلم أن للزجر والتخويف بالألفاظ الغليظة شروطًا أربعة:**

شرطين في الإباحة وهما: أن لا يكون المزجور محقًا في قوله أو فعله، وأن لا يكون الزاجر كاذبًا في قوله، فلا يقول لمن ارتكب مكروهًا: يا عاصي، ولا لمن ارتكب ذنبًا لا يعلم كبره: يا فاسق، ولا لصاحب الفسق من المسلمين: يا كافر ونحو ذلك.

وشرطين في الندب، وهما: أن يظن المتكلم أن الشدة أقرب إلى قبول الخصم للحق، أو إلى وضوح الدليل عليه، وأن يفعل ذلك بنية صحيحة، ولا يفعله لمجرد داعية الطبيعة».

وأشار إلى أن استعمال الشدة إنما يكون في بعض المواضع القليلة، وأن

---

(1) العواصم والقواصم: (١/ ٢٦٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الغالب على هدي المرسلين والمصلحين هو جانب اللين والحكمة، قال / : «**ولا شك أن صفة اللطف والرفق والرحمة هي الغالب القوي في الكتب السماوية، والأحوال النبوية، ومن ثم تمدح الله تعالى بأنه وسع كل شيء رحمة وعلمًا، وبأن رحمة الله سبحانه وسعت كل شيء، وليس في وعده لأهل الصلاح بكتابتها التي هي بمعنى إيجابها لهم ما ينفي سعتها لغيرهم**[(١)]**، بل هي لهم واجبة ولغيرهم واسعة**»[(٢)].

ولا يعني ذلك المداهنة وإخفاء الحق أو تحسين الباطل أو الرضا بالبدعة، وإنما المقصود الحرص على هداية المخالف ورجوعه إلى الحق، وهذه الثمرة لا تكون بالفظاظة والشدة، قال تعالى: * á‹îî $âù MŸäqør [آل عمران:١٥٩] & 7ïqm ôÏB ‹qÒÿRJw É=ù)ø$، وقال عباد بن خواص في رسالته لأهل العلم، بعد أن بيَّن خطر البدعة، ونعى على المخالفين

---

(1) يقصد بذلك قوله ﷻ: * šc qèsÞr bqàÒ6ƒ ûïŸ‰Ø $¨Ÿ2ø¡ù ãÞ« @ä MèÂr ÓÉJôn‘r [الأعراف:١٥٦] & ÇÎÈ bqãèsÞ$ZÒ»ƒ$«î Nè ûïŸ‰Ø oÿ2 "9$، فهذه الآية وعد للصالحين برحمة الله وكتابتها لهم ولا يعني ذلك الوعد خروج غير الصالحين من الفاسقين من رحمة الله.

(2) العواصم والقواصم (١/ ١٧٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وضلالهم بترك سنة الرسول ﷺ في كلام طويل: «**ولا تعيبوا البدع تزينًا بعيبها؛ فإن فساد أهل البدع ليس بزائد في صلاحكم، ولا تعيبوها بغيًا على أهلها؛ فإن البغي من فساد أنفسكم، وليس ينبغي للمطبِّب أن يداوي المرضى بما يبرئهم ويمرضه، فإنه إذا مرض اشتغل بمرضه عن مداواتهم، ولكن ينبغي أن يلتمس لنفسه الصحة ليقوى بها على علاج المرضى، فليكن أمركم فيما تنكرون على إخوانكم نظرًا منكم لأنفسكم، ونصيحة منكم لربكم، وشفقة منكم على إخوانكم، وأن تكونوا مع ذلك بعيوب أنفسكم أعنى منكم بعيوب غيركم**»[1].

يقول الشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف: «كان الرد على المخالف يأخذ مسلكًا دعويًا يراد به دعوة المخالف إلى اتباع الحق والدليل، مع رحمته والإحسان إليه .

ومن ذلك قصة الشيخ أحمد بن عيسى (ت:١٣١٩هـ) مع التاجر التلمساني، كما حكاها الشيخ محمد نصيف قائلًا:

"كان الشيخ أحمد بن عيسى يشتري الأقمشة من جدة من عبد القادر

---

(1) سنن الدارمي (١/ ١٢٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التلمساني أحد تجار جدة بمبلغ ألف جنيه ذهبًا ، فيدفع له منها أربعمائة ، ويقسط عليه الباقي ، وآخر قسط يحل ويستلم التلمساني إذا جاء إلى مكة للحج من كل عام ، ثم يبتدئون من أول العام بعقد جديد ، ودام التعامل بينهما زمنًا طويلًا ، وكان الشيخ أحمد بن عيسى يأتي بالأقساط في موعدها المحدد لا يتخلف عنه ولا يماطل في أداء حقه ، فقال له التلمساني : إني عاملت الناس أكثر من أربعين عامًا فما وجدت أحسن من التعامل معك - يا وهابي- فيظهر أن ما شاع عنكم يا أهل نجد مبالغ فيه من خصومكم السياسيين. فسأله الشيخ أن يبين له هذه الشائعات، فقال: إنهم يقولون: إنكم لا تصلون على النبي ^ ولا تحبونه. فأجاب الشيخ أحمد بقوله: سبحانك هذا بهتان عظيم!!

إن عقيدتنا ومذهبنا أن من لم يصل على النبي ^ في التشهد الأخير فصلاته باطلة، ومن لا يحبه فهو كافر، وإنما الذي ننكره نحن- أهل نجد- هو الغلو الذي نهى النبي ^ عنه كما ننكر الاستعانة والاستغاثة بالأموات، ونصرف ذلك لله وحده.

ثم يقول الشيخ محمد بن نصيف: قال الشيخ التلمساني: فاستمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النقاش بيني وبينه في توحيد العبادة ثلاثة أيام حتى شرح الله صدري للعقيدة السلفية، أما توحيد الأسماء والصفات الذي قرأته في الجامع الأزهر فهو عقيدة الأشاعرة وكتب الكلام مثل السنسوية وأم البراهين وشرح الجوهرة وغيرها، فلهذا دام النقاش فيه بيني وبين الشيخ ابن عيسى خمسة عشر يومًا، بعدها اعتنقت مذهب السلف، فعلمت أن مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم بفضل الله تعالى، ثم بحكمة وعلم الشيخ أحمد بن عيسى .

ثم إن الشيخ التلمساني أخذ يطبع كتب السلف .. وصار من دعاة عقيدة السلف . قال الشيخ محمد نصيف : فهداني الله إلى عقيدة السلف بواسطة الشيخ عبد القادر التلمساني، فالحمد لله على توفيقه"»[١].

وانظر القصة بكاملها في كتاب: علماء نجد للبسام (١/ ١٥٦-١٥٨)

وإن المتتبع لقضية الحوار والجدال بالتي هي أحسن في القرآن الكريم تتضح له بعض القواعد المهمة التي تؤدي إلى الخروج بنتائج إيجابية من الحوار[٢].

(1) مقالات في عقيدة أهل السنة والجماعة (ص:٤٩).

(2) انظر: آداب الحوار والمناظرة، د. علي جريشة (ص: ٧٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن أهم هذه القواعد ما يلي:

١ - البدء من نقطة التقاء[١]:

كل إنسان ولو كان كافرًا أو مخالفًا لا يعدم نقطة خير في قلبه، يبدأ بها المسلم فيدخل منها، ثم ينميها لذا فليُبتدأ الحوار بالأمور المسلمة بين المتحاورين والمتفق عليها، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: * $ZB#ä {þêqèr ÇÍÈ bqßîçÃ¼ç ßtdr ©ºr ßàßJr $YßJr ßà6 ßJ AÌRér $ZØJ AÌRéü ¼ßJ & [العنكبوت:٤٦].

وقوله تعالى: * ðZ<r $ZY<r ¥æq™ 7J÷Ÿ2 4<J {ç$è? É»GÅØÖd'7 ßè* & «ÌÈrß `B $¥/ö $ÒÒè/ $ZÒè/ ‹Ï, Gƒ ¼r $\©¼ïî 8îêÖ¼r ©$ÞJ ‰çèR [آل عمران:٦٤].

ولا شك أن هناك عدة نقاط بيننا وبين أصحاب البدع المفسقة غير المكفرة، بل هناك نقاط التقاء مع أصحاب البدع المكفرة، فليبدأ من هذه الأرضية المشتركة.

٢ - محاولة إثارة العاطفة، وإظهار الخوف عليهم، ومحض النصيحة لهم[٢]:

---

(1) المرجع السابق (ص:٨٠).

(2) آداب الحوار والمناظرة (ص:٨١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليس المقصود من الحوار تبكيت الخصم وإلجامه وإحراجه، وإظهار الأستاذية والتفوق، وتسفيه رأيه أمام الآخرين، وإنما المقصود هدايته إلى الحق وجذبه إليه، ولهذا كان الرسل والأنبياء يظهرون شفقتهم على قومهم والحرص على ما فيه خير لهم، وهذا ما يظهر في دعوتهم لقومهم.

قال تعالى عن نوح عليه السلام: * Éçó)»ƒ A$)ù ¾ïÏBçó‰ 4‹î ‰nqèç $Zù™ö& ßà)9 & ÇÍÈ ÖŠèà㠠Éçó ƒ >#‹ã ïã3øæ ïS‰{& þõ) ÿççöî ⁄»9î ôÏB Nã9 $B ⁄$#(r‰çã$ [الأعراف:٥٩].

وقال تعالى عن شعيب عليه السلام: * `Ï ⁄7ÉŽ 4?ã ãMZä bî ÖÇ£ä‘& Éçó)»ƒ A$‰ bî çŽã ïàÖ 9gR& $B 4‹î ïã3ÿ‰{é÷& ß⁄íé$Br $ŽY¡ m $‰øí çŽÏ ÓÍ–‘r ’Îs Ü›ŠÍéïø)r ãMè@q? ïøã «!$# ÿz) þ»Šïö? $Br ãMèÜG0'$$B x»-ð ⁄Y$ÿz) ß⁄íé Pö‰ ÷& 9qèç Pö‰ >$¹& $B @⁄HÏ Nà6 7ŠÃã b& þí$)© ïã3Y‹ø!r ÿw Çöó)»ƒr ÇÍÈ & ÇÍÈ ‰‹ê7î Nà6 ZÏ ⁄Pqã‹Éó‰ $Br &î»¹ Pö‰ ÷& Šqè’ [هود:٨٨،٨٩].

وما أجمل محاورة إبراهيم عليه السلام لأبيه، قال تعالى: * ’Îã!` ß‰ ’ö) Ï‰M/'»ƒ Ÿ‰çè? ÿw Ï‰M/'»ƒ ÇÍÈ $ÿ‹Ï™ $ÛŽZÃ 8Ÿ‰d& Ó͍è?$$ 7ïÿƒ ïã9 $B Éé‹ß$ šÆ Ï 7ïï Jƒ b& ß$‰{& þõ) Ï‰M/'»ƒ ÇÍÈ $ŠŽÃã Ç»¤qßÿ b‰. `»Üœ±9$ Îî `»Üœ±9$ & ÇÍÈ $ŠŽÃr Ç»Üœ±9 bqãGù Ç»¤qß9$ `Ï Ò#‹ã [مريم:٤٣،٤٥].

وتأمل كلام مؤمن آل فرعون: * Éçó)»ƒ šÆ B#ä ü” Ï‰ß$ A$‰r

o•ÅÆ¥$Þb)Î ÓFB $‹℞‰9$ëä4‹ s¤ßíÉ»d $JR) Ê¢ö)»ƒ ÇÌÈ Š$©$$Ÿ‹î™ Ìà2 Ï‰el&

& ÇÌÈ í#•)¤ßâ#Š ' Ïl [غافر:٣٨،٣٩].

والأمثلة كثيرة جدًا، فليحرص أهل السنة والجماعة على اتباع هذه القاعدة القرآنية ليستميلوا قلوب المخالفين بإظهار الحرص عليهم، والخوف عليهم، ومحض النصيحة لهم، عند ذلك ستكون النتيجة إيجابية، وسوف يبدأ المخالف يراجع نفسه ورأيه، وهذه بداية الهداية بإذن الله.

٣- التذكير بنعمة الله، والتنبيه إلى آيات الله في الأنفس والآفاق[1]:

قد يغفل المحاور عن استشعار نعم الله وفضل الله عليه، فيغتر بعقله وفهمه ورأيه، وعند ذلك يكون تذكيره بالله وبفضل الله وآلاء الله موقظًا له من تلك الغفلة، وفي ذلك تهيئة له لقبول الحق والإذعان للصواب.

وقد أوضح القرآن هذه القاعدة من خلال دعوة الرسل لأقوامهم، قال تعالى على لسان نبيه صالح عليه السلام: * Ï‰è/ .`Ï ä$ÿ=ä ïß=è_ ¤ßî ÷ÿêê2 ¤ß$ A$6Ê¤ßî bqçÅz?r #Yq¥Ä è $gÏqgß?' `Ï šc räÏ, 6? ÇÚ öF{$ 'Î Ìà2 &§/r Ž$ã & ÇÍÈ šú ï‰Å÷ßä ÇÚ öF{$ 'Î ÷ö‹è? Ïwr ‹ $ äIw#ä ÷ÿêê2 ¤ß$ $Yqãç [الأعراف:٧٤].

(1) آداب الحوار والمناظرة (ص:٧٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال تعالى: * ÇÌÈ šc qß-è? ÖÉZà2 bÎ $gŠí `Br ÞÚ öF{$ ÇJÏ @è
•> ‘r ÆEj 9$ ÏN°q»Jj 9$ •> § `B @è ÇÌÈ šc rèC< ? Ÿx ù& @è ⊣ bqèàqà‹™
¾íÏ‰‹Í .`B @è ÇÌÈ šc qà6? Ÿx ù& @è ⊣ šc qèàqà‹™ ÇÌÈ ÉÈèøs Ä ëøs
ÇÌÈ bqçè? ÖÉZä c Î ïnøã âsgã ŵr çyã qèr ãÓ« èà2 ÏNqã-B
.[٨٩-٨٤ :المؤمنون] &ÇÌÈšc rèsóê4Tˆù @è ⊣ šc qèàqà‹™

وقال تعالى: * ïz ª! ä #"Üð $šú ï‰sÍ$6 4?ã Ï»=™r ⊣ ÞÎtø$è
ä$Jj 9$ š Æ Ï Nà6 9 A“R&r Ú öF{$ ÏN°q»Jj 9$,={ ôB& ÇÎÈ šc qäÎð ç$B&
ø»9Ï& $d• f © ÞqÎ:ê b& Öã9 šc ‰Ÿ2 $B ÷f ĝ/ šV #Œ , Íh‰n ¾ïÎ $Z=Ñ'ù Þ$B
.[النمل: ٦٠،٥٩] & ÇÏÈ bqèÏ‰è/ Ñ‰ tÎè @/ «! $ì B

٤ - الدعوة إلى إعمال النظر والفكر، والانعتاق من تقليد الآباء والزعماء:

إن صاحب الفكر المنحرف يظل حبيسًا في دائرة الفكرة التي آمن بها ونشأ عليها، مُبتعدًا عن إعمال عقله وفكره فيما يعتقده أو يؤمن به، ولو أعمل عقله وفكره لاكتشف ما عليه من الباطل، وحينئذٍ يسهل قياده إلى الحق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهـذا أسـلوب القـرآن مـع الخـصوم، قـال تعـالى: * Nàáâãäå$JRÎ)@è [سبأ:٤٦].

٥ - عـرض مـنهج أهـل الـسنة والجماعـة مؤيـدًا بالأدلـة الـشرعية، والبراهين العقلية، والأنوار الروحانية، ودعوته إليه قبل التعرض إلى بيان ما عليه من الباطل والبدعـة، مـن غـير إثـارة أو اسـتفزاز لـه، والبعـد قـدر الإمكان عن الأسماء والمصطلحات المثيرة، والتركيز على الحقائق.

وقد بين هذه القاعدة الشيخ محمد العثيمين / مستدلًا بقولـه تعـالى: * [الأنعام:١٠٨].

فقـال: «**وهكـذا أيـضًا صـاحب البدعـة مـن المـسلمين لا نهاجمـه ببيـان بدعته وذمها؛ ولكن نبين لـه الـسنة أولًا، ثـم إذا اسـتقرت الـسنة في نفـسه سهل علينا أن نبين معايب بدعته، كما لو دعونا مثلًا رافضيًا من الرافـضة، كوننا نهاجمه من الأول ونقول: أنت تسب الصحابة، وأنت تلعـن أبـا بكـر وعمر، وأنت تقول: القرآن فيه نقص، وأنـت تقـول: أولياؤنـا أفـضل مـن الأنبياء، وأنت تقول: أن أئمتنا يديرون الكون وما أشبه ذلك، هذا سينفر؛ لأنه يعتقد أن هذا دين، ومعلوم أن سب دين الإنسان لا يطيقه إنسان.**

ولكن نبين له أولًا الحق، فإذا استقر في نفسه بعد ذلك نبين لـه مـا كـان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه من قبل، وما يلحق به من ذم.

ولهذا لا نرى الآن ما يفعله بعض الناس بالنسبة للرافضة من العنف والإساءة إليهم قبل أن يدعوهم للحق؛ لأن بعض الناس إذا رأى هذه البدع التي يبتدعونها في الصلاة، ولا يسجدون إلا على شيء أصله من الأرض، وما أشبه ذلك ربما يركلها برجله، أساء إلى هذا الرجل، هذا الرجل عامي، ويعتقد أن هذا دين، وأن الصلاة لا تصح إلى على شيء من الأرض، فإذا فعلت به هكذا كيف تريد أن يقبل منك؟»[1].

٦ - تلمس مواطن الخير ومنابع النور بين ظلمات الجهل والبعد عن الحق عند المخالف، مع عدم التعجل، فمن أكثر الطرق يوشك أن يفتح له[2].

ثالثًا: تأليف الكتب والرسائل والمطويات:

وإلقاء الدروس والمحاضرات، وعقد اللقاءات والندوات في الرد على أهل الأهواء والبدع، وبيان خطئهم وزللهم وبعدهم عن الصواب

---

(1) نقلًا عن شريط بعنوان: لقاء مع مديري توعية الجاليات في القصيم، يوم الخميس (١٩/٦/١٤١٤هـ).

(2) كيف تدعو (ص:٤) بتصرف يسير.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموافق للكتاب وصحيح السنة، وذلك بالأسلوب السهل المبسط القريب من فهم العامة، والمقرون بالشفقة عليهم ورحمتهم والنصح لهم.

ولنتأمل - أخي القارئ الكريم - قول ابن حجر الهيتمي في مقدمة كتابه الصواعق المحرقة؛ فإنه عندما كان يرجو هداية بعض أهل البدع بقراءة هذا الكتاب أجاب إلى ذلك، غير متوانٍ ولا متخاذل، يقول / : «أما بعد؛ فإني سئلت قديمًا في تأليف كتاب يبين حقية خلافة الصديق، وإمارة ابن الخطاب رضي الله عنه، فأجبت إلى ذلك مسارعة في خدمة هذا الجناب، فجاء بحمد الله أنموذجًا لطيفًا، ومنهاجًا شريفا،ومسلكًا منيفًا، ثم سئلت قديمًا في إقرائه في رمضان سنة خمسين وتسعمائة بالمسجد الحرام؛ لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن بمكة المشرفة، أشرف بلاد الإسلام، فأجبت إلى ذلك رجاء هداية بعض من زل قدمه عن أوضح المسالك»[1].

رابعاً: توجيه المحاضرات والكلمات لمن تصله من المخالفين يقينًا:

كالمعلم لتلاميذه، والرئيس لمرؤوسيه، والطبيب لمرضاه، والجار لجاره، وزميل العمل لزميله، وصاحب السفر لصاحبه... إلخ، وذلك

(1) الصواعق المحرقة (١ / ٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالنصح لهم وتوجيههم ومخاطبتهم بالعقل والنقل، وكم من حالات هداية كانت على هذا السبيل وبسبب هذا النهج.

خامسًا: الهدية:

إهداؤهم ما يفيدهم من علم نافع يبصرهم بالصواب، ويبين لهم خطأ بدعتهم، وما أسهل هذا على كل أحد يريد هداية الناس والنصح لهم! فتقديم كتيب صغير أو شريط نافع، أو دلالة على موقع في الإنترنت، لهو كفيل بتغيير حال المدعوين إن أراد الله هدايتهم وشرح صدورهم للحق والسنة.

مع إهداء من تتوسم فيه الخير، وتعرف فيه الأخلاق الحميدة، والسجايا النبيلة هدية عامة في بدء دعوته، لعلها تفتح آفاقًا وطريقًا لقلبه، فيقبل ما بعدها من النصح والإرشاد والحق.

سادسًا: المشاركة في مواقع الحوار في الشبكة العنكبوتية:

واستخدامها منبر دعوة للحق، والرد على شبهات المخالفين، والذب عن معتقدات أهل السنة، ولكن هذا يحتاج من صاحبه قدمًا راسخة في العلم على الأقل فيما يدعو إليه، وخبرة كافية في الحوار ومواطن الكر والفر فيه، كما يحتاج صاحبه لخُلقٍ عال وسجايا نبيلة، تدعو المحاور له

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لقبول الحق الذي عنده حال ظهوره، وعليه التنبه لمسالك المخالفين وطرائقهم الملتوية في الحيدة عن الحوار.

سابعًا: التأثير المباشر لمن ملك الأهلية من خلال شاشات الرائي والفضائيات:

ببث الاعتقاد الصحيح، وتوجيه كلمات النصح والإرشاد، فلعلها تصادف توفيقًا من الله في قلب مستمع لها، فتقوده للهداية والتوفيق في الدنيا والآخرة.

ثامنًا: استخدام البريد الإلكتروني:

فعن طريق البريد الإلكتروني تستطيع وبضغطة زر إيصال الكم الهائل من المعلومات إلى زميل لك في العمل، أو في السفر، أو جار قريب... إلخ، فتكون بهذا قد دللته إلى الخير وبدون عناء ولا تكلف *ûïωÎ) bÎû ÇÚö‘F{$# (#θçΡ% [النحل:٨٢].

تاسعًا: استخدام رسائل الجوال:

فبإمكانك مراسلة من تعرف من المخالفين كذلك من خلال رسائل الجوال القصيرة، بكلمات تذكير، أو آيات من كتاب الله، أو حجج عقلية قصيرة تهدم أساسًا كبيرًا في تصوره، وكم هي مفتاحًا للخير غفل عنها كثير من الناس!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عاشرًا: الدعوة إلى حضور الدورات العلمية والندوات الثقافية:

دعوةُ من تعرف منهم لحضور دورة علمية قريبة منه، أو ندوة ثقافية فيها إرشاد إلى مهارة تقود الشخص لباب خير وهداية، والله تعالى يقول لرسوله ﷺ: &ÇÌÈ šc r‰Gö NGFe9 7ˆ6 `B 9ÉR `B NG9?‰ $B $B6 ‘ÉZÊ* [السجدة:٣].

حادي عشر: الإحسان إليهم:

قضاء حوائج من تعرف منهم، والشفاعة لهم تفتح أبوابًا وتمد جسورًا للحوار معهم والوصول إلى قلوبهم، فالإحسان آسر للقلوب.

وفي الختام نذكرك أخي الداعية إلى الله بالوصايا التالية:

١ - قبل كل شيء تأكد أن نجاح كل دعوة مرتبط ارتباطًا كليًا بصدق القصد وإخلاص النية كما لا يخفى عليك.

٢ - الجأ إلى الله تعالى في كل وقت وحين، واطلب منه التأييد والعون، وأن يفتح لك قلوب المدعوين.

٣ - استعن بالصبر والصلاة؛ فهما مفتاح كل باب مغلق.

٤ - عليك بالاستخارة، وطلب المشورة ممن سبقك في هذا العمل، وله قدم سبق فيه، فعنده ما يصلح لك، وبأخصر الطرق .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥- أكثر من التأمل والتفكر في أساليب عقلية ومنطقية لإقناع الآخر[١].

تنبيه: الحديث عن البدعة في العموم يختلف عن الكلام مع المخالفين أو المخالف.

ففي الحديث عن البدعة لا بد من ذم البدعة، والتحذير منها، وبيان خطرها على الدين.

أما إذا كان الحديث موجهًا إلى مخالف - أو مجموعة من المخالفين - فإنه قد يحتاج[٢] إلى تأليف قلبه ودعوته إلى منهج أهل السنة، فيراعى في ذلك الرفق واللين وعبارات التأليف، وعدم التعيير.

وهذا ما سار عليه شيخ الإسلام، فهو في حديثه عن البدعة يذمها ويُبيِّن خطرها، أما حينما يتحدث مع مخالف، أو يتعامل معه فإنه يتبع أسلوب اللين والرفق والتأليف، ولعل أوضح مثال، رسالته إلى ابن نصر

---

(1) كيف تدعو (ص:٦٣).

(2) وإن كانت المصلحة في بعض الأحيان قد تقتضي الشدة؛ فالأمر في حقيقته راجع إلى المصالح الشرعية، فمتى ما كان الأمر يقتضي التأليف كان هو الواجب، ومتى كان يقتضي الشدة فهي، إلا أن الغالب هو التأليف واللين والحكمة، كما أشار إلى ذلك العلامة ابن الوزير / . [انظر: (ص:١٥٨) من هذا الكتاب].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنبجي المذكورة سابقًا.

وكذلك ما كتبه في صدر رسالته إلى المنسوبين إلى التشيع وغيرهم في العراق ومشهد المنتظر، حيث قال / : «وكان سبب هذه المواصلة أن بعض الإخوان قدم بورقة فيها ذكر النبي ^ وذكر سادة أهل البيت، وقد أجرى فيها ذكر النذور لمشهد المنتظر، فخوطب من فضائل أهل البيت وحقوقهم بما سرَّ قلبه وشرح صدره، وكان ما ذكر بعض الواجب؛ فإن الكلام في هذا طويل ... إلخ»[1].

ولعل هذا أيضًا ما يشير إليه قوله تعالى: * É»GÅ6 ¨bÖ@e& (þæ‰»gÈ wr ÓÉ»GÅ6 ¨bÖ@e& (þæ‰»gÈ wr [العنكبوت:٤٦]، فإذا كان ذلك مطلوبًا مع اليهود والنصارى فمن باب أولى أن يكون مع المخالفين الذين لم يخرجوا عن الإسلام..

وبعد:

فهذه بعض الوسائل الدعوية القريبة المتيسرة لكل أحد، فمن فاتته وسيلة منها فلن تفوته الأخرى، وهو الحريص العارف بقوله تعالى: *ôBr

(1) جامع المسائل لابن تيمية "المجموعة الثالثة" (ص:٩٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

&ÇÌÈ ûüÜîóßØ`Ä ÓÍÎ A$%r $[s÷¹ Ø¨Üãr «‹$'‹Î ¼æŠ `ÆÄ Ø¨ß¡ô&

[فصلت:٣٣].

[البقرة:٨٣] &oé4Ÿ2 "9$(qê#är oé4-Á9$(qß$Ÿ¼r $Ø6ñãn Ä $Ÿ-Ø(qâ¤ê*

'Ü ÓÉ$Ø OßØ»_r ÞZ¡tø$ÞàÃöJØ$r ÞJßtø$Ø 7Îr è‹Î™ 4‹Î ã$š$*

&Ç#È ûï‰Gßßtø$Ø Ð=ã& qèr ¾Ä‹Î™ `ã @Ê `JÎ Ð=ã& qèr 7/' ÞÎ ß¡ô&

[النحل:١٢٥].

ÓßÆÄ (qß=ß ûï‰$Øv)Î ß¡ô& 'Ü ÓÉ$Ø vÎ É»GÅ6 ø$Ø@è& (#ä‰»gÉ Ø¨r*

¼ç9 ßtùr ßÓn°r tÃßß»9Îr $Yß»9Îr tÃà6 ùÎ AÌ?Ré$ŽøÎ AÌ?Ré ü‰Ø $ZB#ä (#ä¤ê

[العنكبوت:٤٦] &ÇÍÈbqß=ßã

الخاتمة

وبعد: فقد تبين -بفضل الله تعالى ومنّه- مما سبق من المباحث فضل الدعوة إلى الله تعالى، وأنها من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى؛ بل إنها أفضل مقامات العبد، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين ‡ .

وتبين كذلك أن الدعوة إلى الله تعالى ليست مقتصرة على غير المسلمين فقط؛ بل إنها تعم كذلك عصاة المسلمين الذين انحرفوا عن الصراط المستقيم، ويدخل فيهم من باب الأولى المخالفون لأهل السنة والجماعة الذين انحرفوا عن المنهج الحق؛ منهج أهل السنة والجماعة..

وتبين كذلك خطر البدعة وتأثيرها على المسلمين، وأنها أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها، بمعنى أن صاحبها يعتقد أنه على دين صحيح؛ فكيف إذًا يتوب منه؟!

وتبين كذلك أن توبة المخالفين مقبولة إن أخلصوا فيها لله رب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العالمين، فإنه لا يحول بينهم وبين التوبة أحد، والله تعالى يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب إليه وأناب.

ومن كل ذلك تتبين أهمية دعوة المخالفين حتى يرجعوا إلى جادة الصواب، إلى منهج أهل السنة والجماعة، المنهج الحق الذي أُمر باتباعه جميع المسلمين، **ذلك أن أهل السنة هم أرحم الناس بالناس، ومن رحمتهم بالمخالفين أن يدعوهم حتى يتمسكوا بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه؛ لعلهم أن ينجوا بين يدي الله Q ويكونوا من الفائزين بجنات النعيم.**

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يجعل هذا الأمر -وهو دعوة المخالفين لأهل السنة والجماعة- من جملة اهتماماته، وأن يسخر لسانه وقلمه وجهده وكل ما يستطيع في دعوة من يستطيع دعوته منهم، بالأسلوب الحسن، والحكمة النافعة، وأن لا يألوا جهدًا في استخدام شتى الوسائل في دعوتهم -التي ذكرت في البحث والتي لم تذكر- وأن يكون على بصيرة مما يدعو إليه، حتى تكون دعوته ناجحة بإذن الله تعالى.

وعليه أن يكون قريبًا من أهل العلم؛ يستنير بعلومهم، ويسترشد بكلامهم، ويسألهم عما يشكل عليه في دعوته للمخالفين، ويستشيرهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيما يواجهه من مشكلات وعقبات، وقد ذكر في هذا البحث بعض فتاويهم وتوجيهاتهم في دعوة المخالفين ونصحهم وإرشادهم والتعامل معهم.

فنسأل الله تعالى أن يهدي كل مخالف للتمسك بمنهج أهل السنة، وأن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وأن يوفقنا للدعوة في سبيله، على منهج نبيه محمد ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهرس المحتويات

صورة من تقديم معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ٣
تقديم معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ٤
تقديم فضيلة الشيخ القاضي صالح بن عبد الله الدرويش..... ٥
المقدمة ١٧
الفصل الأول: فضل الدعوة إلى الله تعالى ٢٤
الفصل الثاني: تعريف البدعة وخطرها وذم أهلها ٣٤
الفصل الثالث: أنواع البدعة وأحوال أهلها ٤٦
الفصل الرابع: تكفير المخالفين لأهل السنة والجماعة ٧٩
الفصل الخامس: توبة المخالفين لأهل السنة والجماعة ٩١
الفصل السادس: فتاوى بعض أهل العلم في دعوة المخالفين ١٠٧
الفصل السابع: وسائل دعوة المخالفين ١٢٧
الخاتمة ١٧٥
فهرس المحتويات..... ١٧٩

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com